46

حراء

مجلة علمية فكرية ثقافية

دورية تصدر كل شهرين من إسطنبول www.hiramagazine.com السنة العاشرة / (يناير - فبراير) ٢٠١٥

انظرْ وتبصَّر

في الأشياء قدراته ظاهرات، وآياته باهرات،

للمتبصرين غير خافيات..

والأسباب أستار، بها نُمتحَن ونُفتَن..

عسير الفهم كيف يَفهم؟!

وعَميّ القلب كيف يَعلم؟!

* * *

٢ الطرُق
فتح الله كولن

٥٢ النفاسة المحمدية
أ.د. فؤاد البنا

٥٩ تعظيم الشعائر في الإسلام
عبد العزيز بن عمر

الواصلون والمنقطعون

يكتب "فتح الله كولن" في هذا العدد من "حراء" عن الطرُق التي تزدحم بها الدنيا، وعن فجاجها وشعابها، وعن استقاماتها واعوجاجاتها، وعن نورها وظلمائها، وينبه المشائين والسالكين المدلجين في الظُّلَم من أن تنزلق أقدامهم على حين غفلة فتأخذهم إلى الطرق الظلامية المرعبة ليتوهوا بين شعابها فتكون نهايتهم مهلكة، فتهلك أرواحهم وتقودهم إلى حمأة الانحطاط والرذيلة والتردي في وديان الأهوال، فتنقطع بهم السبل وتصدهم عن هدف الوصول إلى الدرجات العلا التي تسمو بهم إلى عالم الأبدية والخلود، وفي الوقت نفسه يهلل لأولئك الرواد من سالكي طريق النور، ويرى في مسلكهم أنموذجًا ومثالاً لأصحاب الرسالات الإصلاحية التي ترى في خدمة الإنسان وتقويم اعوجاجه وهدايته إلى الطريق المستقيم من أوجب واجباتها الدينية والأخلاقية، وقد يغدو الإنسان المستقيم نفسه هو إحدى الطرق التي يبحث عنها الضالون، فيتخذونه طريقًا يسيرون على هداه، ويقتفون أثره ويمشون في ركابه.

وفي مقال "الوحي والحرية" يكتب "محمد بن إبراهيم السعيدي" مقالاً فكريًا ثقيلاً في معانيه ومغازيه، مبينًا أن الحرية مهما قلنا فيها، فهي في خاتمة المطاف قضية أخلاقية مرتبطة بالدين وبالوحي قبل أن تكون قضية اجتماعية أو سياسية.. و"يحيى وزيري" يلفت انتباهنا إلى الرابط المعنوي بين المسجد والكون، وأكثر ما يتجلى ذلك في المساجد العثمانية التراثية التي صممت بناياتها للتعبير عن هذا الرابط بين الكون بمشاهده الرائعة والمسجد المقام للصلاة، فيرى المسلم في المشاهد الكونية آيات بينات على الخالق العظيم الذي يسجد له ويقوم بعبادته. وعن "العنف" مرض العصر الخطير المتفشي في أرجاء كثيرة من الكرة الأرضية، تكتب "مريم آيت أحمد" عن مسبباته ودوافعه وجذوره البيئية والنفسية والاجتماعية. أما "محمد باباعمي" فيكتب في مقاله "في حب كلام الله" عن فعل الحب إذا لامس شغاف القلب واستولى على أرجاء النفس والعقل، فعندئذ يصبح كل ما يأتي من المحبوب محبوبًا كذلك، ولا سيما كلامه الذي ينزل على القلب بردًا وسلامًا، وهكذا -ولا مشاحة في المثال- كلام الله نحبه ونعشقه ونهيم به لأننا نحب الله، وكلما طفحت لذتنا بكلامه تعالى كان ذلك دليلاً على عظم حبنا له سبحانه.

و"مجدي سعيد" يكتب الإلفة بين النباتات والنمل، مستشهدًا بكلام عظيم للمفسر العلامة الشيخ طنطاوي جوهري، مبينًا الرعاية الإلهية لهذا المخلوق الصغير وعن إحدى عجائب تكوينات ارتزاقه. و"فؤاد البنا" يذكر في مقاله "النفاسة المحمدية" وقدراتها على اختراق النفوس وتغييرها والاستعلاء بها إلى مقام النفاسة، والسمو بها إلى مقامات عالية، والارتفاع بها من القيعان إلى القمم، حيث رفع أصحابه فترفعوا عن السفاسف والأسافل.

أما "أديب الدباغ" فيكتب متوجعًا في مقاله "الخروج من زمن التيه"، واصفًا إياه بأنه بدع من الأزمان بافتقاده لقيم الحق والعدل والجمال، وأنه زمان التيه والضلال عن حقائق الحياة والوجود ومعرفة الله تعالى واللجوء إليه والسجود بين يديه. هذا ما استطاعت هذه السطور من إشارات إلى مقالات البعض من كتاب المجلة، أما الآخرون فنحن طامعون بكرم تفهّمهم وتقديرهم، والله تعالى من وراء القصد.

المحتويات

الطُرُق / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
الفضة النانوية في مكافحة البكتريا / محمد هاشم البشير (علوم)	٤
الوحي والحرية / د. محمد بن إبراهيم السعيدي (قضايا فكرية)	٦
القرد يحكي قصته / أ.د. عرفان يلماز (علوم)	١١
تفسير التاريخ عند النورسي / محمد بكور (قضايا فكرية)	١٤
احْذرْ العنكبوتيات! / حراء (ألوان وظلال)	١٧
مكتبات جمعت تراث الأمة / الميلود كعواس (تاريخ وحضارة)	١٨
الهاتف الجوال وأخطاره المتوقَّعة / د. حذيفة أحمد الخراط (علوم)	٢٢
مشاهد كونية في مساجد عثمانية / د. يحيى وزيري (تاريخ وحضارة)	٢٦
حقيقة حريم السلطان / مراد دومان (تاريخ وحضارة)	٣٠
إذا دام الربيع / حراء (ألوان وظلال)	٣٣
سرطان الثدي خطر قد تمنعه الرضاعة / مرازي زهرة (علوم)	٣٤
الحب عطاء / مرام البار (أدب)	٣٦
العنف.. مسبباته ودوافعه / د. مريم آيت أحمد (تربية)	٣٨
مهندسون في عالم الحيوان / د. ناصر أحمد سنه (علوم)	٤٢
في حب كلام الله / د. محمد باباعمي (أدب)	٤٥
إيلاف النباتات للنمل / د. مجدي سعيد (علوم)	٤٧
شوق العاشقين / د. ليلى محمد السبيعي (أدب)	٥٠
في انتظار قدومك / حراء (ألوان وظلال)	٥١
النفاسة المحمدية / أ.د. فؤاد البنا (قضايا فكرية)	٥٢
الخروج من زمن التيه / أديب إبراهيم الدباغ (أدب)	٥٨
تعظيم الشعائر واحترام المقدسات في الإسلام / عبد العزيز بن عمر (أنشطة ثقافية)	٥٩

الطـرُق

في تعـرّج والتـواء تمتـد الطـرق نحـو الأبـد.. وعلـى هـذه الطـرق سـائرون كمياه هدارة أو كسـحب بكاءة مدرارة.. مندفعون كماء ينسـاب مسـرعًا نحو المحيط، ناطحًا كل صخر يعترض مسيره.

إن الطـرق بعـدد أنفـاس الخلائـق، وكل كائـن يُهـرَع مسـرعًا بـدأب فـي طريقـه نحـو هدفـه المنشـود؛ فالدود يقطـع طريقـه زحفًـا، والسـلاحف فـي تـؤدة، والخيـول تطـوي الطـرق طيًّا، والطيور تقطعها سـابحة في الفضاء، وللصواعـق سـياحة مختلفة، وللشـموس حيـن تدور في أفلاكها جريان من لون آخر.

لكـن الطريـق الحقيقي ظهر مـع الإنسـان، وبشـعوره استمد نورَه، واكتسب بأفكاره وأحاسيسه صفةَ "الأبدية". والعجيب أن "اللاطريق" معه أيضًا نشـأ بل لم يُفلته ولو لحظة، مـع ما عليه من معرفةٍ للطريق.

لـم يخـلُ عصـر من العصـور دون رحّـال متجول في الآفاق بين النجوم والمجرات، أو دون متنكِّب بحثًا عن الطرق في المستنقعات.

والحقيقـة أن الطريـق، لمـن يشـق الطريـق ويعـرف آدابـه وسـلوكه.. وإلا فالطريـقُ وعدمه لمن تمر به الأيام وهـو فـي هذيـان يتجـدد كل يـوم سِـيّانٌ. وأول الشـروط لإحـراز الأمـان وبلـوغ الغايـة المنشـودة أن تبـادر إلـى السلوك. فالسلوك بهذا الاعتبار لذيذ وباعث للأمل، بيد أن الطريـق نفسـه قد تعتوره ألوان مـن الصعود والنزول، وأنـواع مـن الروابـي والحُفَـر، وأشـكال مـن المصاعـب والمصائب، وخصوصًا طريقنا الذي نسعى فيه.

هذا الطريق طويل بعيد،
لا قليلَ المحاطّ بل كثيرٌ عديد،
عديم المنافذ عديم المعابر،
وماؤه للسالكين عميق وغائر... (يونس أَمْرَه)

فالسـالكون الـدربَ بعشـق واشـتياق خلـف دليلهم، تذوب الجبال لهم قيعانًا مستوية، ويصير الحَزن أمامهم سـهلاً، ويجتـازون لجج الدماء والصديد بسـرعة البرق، وينطفئ فَيح جهنم إذا مرُّوا بها.. لا مجال للحديث عن تعثُّرهم في الطرق، أو كفِّهم عن المسـير ونكوصِهم عنه أو رجوعهم القهقرى، بل يسـيرون من الخلق إلى الحق لا يحيـدون، لا تطـأ أقدامهـم الأشـواكَ حيـن يسـلكون

طرقها بل يطيرون، نظرتُهم إلى الموت نظرة الحبيب إلى الحبيب، فلا خوف عليهم ساعتَها ولا يحزنون، يدخلون قبورهم وهم فرحون مستبشرون.. لا يهابون القبر قطعًا، ولا ينظرون إليه كأنه دار وحشة أو معبر إلى العدم أو تنّين فاغر فاه، بل يرونه بابًا للرحمة وبرزخًا للنور وقنطرة للحق يفضي إلى "لقاء الأحبة".. فلا يترددون، ولا يستسلمون للشكوك ولا يرتبكون.

وفي المقابل هناك بؤساء تخلّوا عن الهدف وتراجعوا، أو ضلّوا الطريق في نور الضحى، أو تعثروا بشوكة واحدة عرضت لهم، أو عجزوا عن تخطي ربوة صغيرة.

إن هؤلاء التعساء الذين حُرموا إدراكَ لذة المسير في الطريق، وظنوا أن "دار المحن" هذه أبديةٌ، فأزمعوا على الإقامة فيها.. هؤلاء لو فُرشت النجومُ تحت أقدامهم ليسلكوا الطريق فلن يَعني ذلك لهم شيئًا.

إن لكل طريق لذته، وله أيضًا وعثاءه ومحنته، خصوصًا مثل ذلك الطريق الذي يعانق الخلود ويتداخل مع الأبدية.

ليست السعادة الدائمة منحة توهب بلا ثمن، وليست النعم الممتدة لقَطةً على قارعة الطريق ملقاة. فالسعادة لا ينالها إلا من عبر الفيافي واجتاز شواهق الجبال. والنعمُ لا يحظى بها إلا من صمد حتى المحطة الأخيرة في الطريق الطويل الذي له مئات المحطات.

نعم، إنما تنمو النعمة في طرق تغدو فيها المحنُ وتروح، وتتأتى السعادة بعد سيل من صنوف الحرمان. فإذا كان مُلك مصر يتطلب الإلقاء في غيابة الجب كالدِّلاء، والتجوالَ في أسواق العبيد كالأرقاء، والزجَّ في السجون كالمجرمين الأشقياء، فلن يكون بمقدور أحد أن يبدل ذلك، وليس له أن يحقق الغاية دون تذوق هذه الغصص وتجرعها.

فمن ذا الذي يَقْدِر على تغيير الطريق الذي شقته "يد الحكمة"؟! إن محاولة ذلك تَعني إعلان الحرب ضد الفطرة وضد طبيعةِ الأشياء.

السالكون الدربَ بعشق واشتياق خلف دليلهم، تذوب الجبال لهم قيعانًا مستوية، ويصير الحَزن أمامهم سهلاً، ويجتازون لجج الدماء والصديد بسرعة البرق، وينطفئ فَيح جهنم إذا مرُّوا بها.

حراء

آهٍ لو أمعنتم النظر في هذه السحابة المركومة، وفي أنَّات الأم تعاني آلام المخاض، وانتبهتم إلى هذه العصفورة تبني عشها في جهد حثيث وتلك العنكبوت تنسج بيتها بألف صعوبة وصعوبة!

وهكذا روح الإنسان.. فمنذ اليوم الذي هبط وانتكس إلى قلب المادة لم يزل يتقلب من قالب إلى آخر أملاً أن يعود إلى أصله؛ فيَرى المعاناةَ، ويَسمعُ المعاناة، ويعاشرُ المعاناة، ويتوحد مع المادة في سبيل نسج سعادته الأبدية.

إن الإنسان خُلق للمحن، وهو ابن سبيل مكابدٌ، ينتظره في طريقه سيلٌ من المحن والمعاناة. وبُطولته الحقيقية منوطة بتخطيه لهذه المصاعب التي تعترض طريقه.

فآهٍ ثم آه! ليتنا استطعنا أن نُسمِع كل هذه الحقائق لروح إنساننا، ليتنا تَحدَّثْنا له عن الطرق الشائكة التي ستقابله، وكلّمناه عن أنواع المظالم والجَور والوحوش الكاسرة التي ستقطع طريقه، وعن صنوف الوحشة التي سيلاقيها، حتى نُطْلعه على الوجه الحقيقي لواقع الأمر.

نعم، لن يكون من قبيل المجاز قولنا: لا مناص للعشاق المتيمين سالكي الطريق من البلايا والمحن، فذلك للمهمومين المغمومين أساس في طريقِهم. وضروري أن نجلّي تلك الحقيقة لمن يسعون جاهدين في سبيل خدمة أمتهم. وما لم يدركوا كنهها فلا سائر هناك ولا طريق. ■

(*) الترجمة عن التركية: أجير أشيوك. نشر هذا المقال في مجلة سيزنتي التركية في العدد:٣١، سنة ١٩٨١.

محمد هاشم البشير*

الفضة النانوية في مكافحة البكتريا

ذكر الله تعالى الفضة في محكم تنزيله في ستة مواضع مختلفة بالتعريف (الفضة)، وبدون التعريف (فضة) كقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(آل عمران:١٤)، وقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾(الإنسان:١٥)؛ لقد خصّ الله ﷻ في هذا الموضع أهل الجنة بأكواب الفضة. ثم في موضع آخر من نفس السورة يقول تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(الإنسان:٢١)؛ وهنا إشارة لطيفة تربط بين أكواب الفضة والشراب الطهور، وتؤكد هذه الإشارة وتصدقها البحوث العلمية الحديثة التي أُجريت على معدن الفضة. وكَشفت هذه الدراسات أن الفضة من أنجع الوسائل لمكافحة البكتريا والجراثيم.

الفضة عنصر يرمز له بالأحرف "Ag" اختصارًا للكلمة اللاتينية (Argentum)، ونسبت إليه دولة الأرجنتين (أرض الفضة)؛ حيث وُجدت فيها الفضة بكميات كبيرة، وهي معدن أبيض ويمكن صقله وتلميعه. ويأتي معدن الفضة في المجموعة الانتقالية رقم II من الجدول الدوري، ورقمها الذرّي ٤٧، ووزنها الذرّي ١٠٧,٨٦٨، ويبلغ وزنها النوعي ١٠,٥. تنصهر الفضة عند درجة حرارة ٩٦٢ درجة مئوية، وتصل إلى مرحلة الغليان عند درجة حرارة ٢٢١٢ درجة مئوية.

استخدمت الفضة منذ القدم في مكافحة البكتريا نظرًا لقدرتها على قتل الكائنات الدقيقة والطحالب. وقد استخدمها المسلمون في تنقية الماء؛ حيث قاموا بوضع الماء في القِرب المصنوعة من جلد الشاة، حتى امتلأ ما يقرب من ثلاثة أرباعها وظل الباقي هواء، ثم وضعوا في الماء قطعًا معدنية من عملات الفضة لتهتز القِربة أثناء الرحلات الطويلة فتحتك القطع ببعضها البعض، مما يؤدي إلى ذوبان جزء بسيط من الفضة في الماء في صورة مسحوق ناعم جدًّا يكون وسيلة في قتل البكتريا وتطهير الماء.

في العصر الحديث بعد ظهور علم النانو، حظيت

المواد ذات البنية النانومترية على تركيز مكثف من الباحثين -خاصة في العقود الأخيرة- بسبب اعتماد خصائصها الفيزيائية والكيميائية الفريدة على حجمها. وبما أنه أصبح من السهل بناء جسيمات نانوية (من ١ نانومتر إلى ١٠٠ نانومتر)، فقد تسابق العلماء والباحثون في ابتكار طرق مختلفة للسيطرة على حجم وبنية المواد في مستوى النانو. وبالتالي استغلال خصائص هذه المواد المختلفة، وأهمية دراسة أثر المواد النانوية على البكتريا، تأتي في إطار الأبحاث حول توفير مضادات حيوية فعّالة. وقد أثبتت أيونات الفضة -وخاصة بحجم النانو- أنها تكون مفيدة وفعّالة في مكافحة الجراثيم.

لذلك تسابق الباحثون في مختلف دول العالم، وتفننوا في تحضير مواد نانوية ذات تراكيب مختلفة وأشكال متعددة استطاعوا أن يطبّقوها في مجالات عديدة علميةٍ وتكنولوجيةٍ وصحيةٍ. وكانت حبيبات الفضة النانوية من أهم هذه المواد نظرًا لتطبيقاتها المحتملة في مجالات عدة، وعادة ما تكون فضة عالية النقاء.

عُرفت الفضة كمطهّر لعدة قرون، واستُخدمت على نطاق واسع في علاج الأمراض السريرية وجروح الحروق الموضعية. ومما يشجع الباحثين على الاهتمام والتركيز على الفضة، كونها تعمل ضد طيف واسع من البكتيريا بشكل استثنائي، في حين أنها تظهر سُمّية منخفضة إلى خلايا الثدييات.

وتعتبر تقنية النانو فضة، بمثابة فتح طبي جديد؛ إذ تستطيع الفضة المصنعة عند هذا الحجم الصغير للغاية، أن تقضي على أكثر من ٦٣٠ نوعًا من البكتريا بتحطيم جدران الخلية البكتيرية، وعلى العديد من الفطريات والفيروسات، كما تُستخدم هذه المادة في تعقيم أدوات الجراحة أيضًا. وهناك دراسة علمية نشرت في مجلة تقنية النانو الأمريكية عام ٢٠٠٥، أجراها باحثون من جامعتي تكساس ومكسيكو الأمريكيتين، تؤكد على أن النانو فضة عند مقياس ١-١٠ نانومتر، قادرة على القضاء على أحد أخطر الفيروسات على صحة الإنسان، ألا وهو فيروس الأيدز (HIV-1). وطبقًا لما جاء في البحث المشار إليه، فإن الفضة النانوية قضت على ١٠٠٪ من فيروسات الأيدز خلال ثلاث ساعات فقط من بدء التجربة عند درجة حرارة ٣٧ درجة مئوية، أي درجة حرارة جسم الإنسان. ■

(*) رئيس جمعية الفيزياء بجامعة وادي النيل / السودان.

د. محمد بن إبراهيم السعيدي*

الوحي والحرية

إن من الطرق الصحيحة لإحداث النسبة بين التصورات، "العقل"؛ باعتباره المجهود الذهني البشري الصرف، ويأتي ثانيًا بعده "الوحي" المنزل على محمد ﷺ بنوعيه. فهما كما يحتويان على أوامر ونواهٍ إلهية، يشتملان أيضًا على مجموعة كبيرة جدًّا من التصديقات حسب اصطلاح المناطقة، وهي تقدّم للإنسان ما ينبغي أن يعتنقه من رؤى يقينية للكون بعالَميه الغيب والشهادة، وذلك بإعطاء أجوبة ربانية لجميع الأسئلة التي لا تزال عند مَن لا يملكون إيمانًا حقيقيًّا بالوحي، تعبّر عن مشكلات بل معضلات فلسفية يسميها بعضهم الميتافيزيقا، تتحدث عن كل ما ليس مدركًا ماديًّا، ومنها الأسئلة الخمسة الشهيرة: مَن، وكيف، ومتى، ومن أين،

ولماذا، وهي إشكالات عن الخلق وسر الوجود في هذه الحياة، موروثة عن فلاسفة اليونان، شكّلت عصب الفلسفة القديمة والوسطى والحديثة.

وإن كانت طبيعة النقاش الفلسفي المعتمد على طرح الأسئلة المستنبطة من أسئلة سابقة، دون ارتباط السائل بحصوله على جواب مقنع عن السؤال الأول، أقول: إن طبيعة النقاش هذه، قد أسهمت -وليست وحدها- في أن تكون الفلسفة منطلقًا لكثير من العلوم النظرية والتجريبية؛ كالرياضيات، والطب، وعلم النفس، والجغرافيا، والفيزياء، والأحياء، والميكانيكا.. إلا أننا لا يمكن أن نعزو الفضل في ولادة هذه العلوم النافعة إلى الحيرة في أصل الكون والحياة كما يحب البعض أن يصوِّر لنا، بل الحقيقة أن تلك العلوم نشأت عن بيئة علمية مهيّأة للتفكير، ولو أن تلك البيئة توقفت عند الإجابات الفطرية لإشكالات الكون والحياة، لاستطاعت التقدّم بشكل أسرع بكثير في سبيل إنضاج تلك العلوم التي ظلت أكثر من ألف سنة متوقفةً عند شكلها النظري الذي تركها عليه كل من أبقراط وأرسطو وأرشميدس، حتى انتقلت عند المسلمين نقلةً نوعية من العلم النظري إلى العلم التجريبي، ومن ثم حقّقت في ظل الحضارة الغربية ما نراه اليوم من تقدّم نتيجة اشتراك العديد من العوامل المؤثرة، والتي شكّلت المحرّك الرئيس لتسارعها.

وفي تقديري، إن تباطؤ حركة الإبداع العلمي عند المسلمين رغم ابتكارهم للمنهج التجريبي، كان من تأثير تعلق فلاسفتهم بالحيرة اليونانية، وانشغالهم بمعالجة قضاياها في غفلة غير مبررة عن الهدي القرآني في حل تلك الإشكالات. بينما كان لتأثر آباء النهضة الحديثة -ديكارت وكينت- بالإجابات الإسلامية عما وراء الطبيعة، دور كبير في تسارع التقدم الأوربي، بالإضافة إلى عوامل كثيرة أخرى لعلها قد درست من قِبل مختصين في تاريخ النهضة. وهنا أحب أن أنبه إلى أنني لا أملك معطيات علمية لتأثر ديكارت وكينت بالفكر الإسلامي، سوى ما أجده بينهما وبينه من تقارب في بعض مسائل الألوهية ومصادر المعرفة، مع أنني

الوحي يقدم منهجًا متكاملاً للحياة، يؤسسه على حقيقة أن الإنسان عبد لله اضطرارًا، ويجب أن يكون عبدًا لله اختيارًا. والاستعباد ليس تحكمًا إلهيًّا في الأفعال فقط، بل في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي منها الفكر.

حراء

أضع في الاعتبار كثيرًا أن يكون التقارب هو بتأثير من دواعي الفطرة التي أظن أن ديكارت وكينت كانا أول من أدخلاها (أي الفطرة) في الفكر الأوربي.

أتكلم هكذا لأنني أجزم بأن من التهالك الفكري، الرجوع بالعقل إلى الوراء في محاولة مناقشة قضايا محسومة قرآنيًّا بشكل قطعي، وذلك في دعوات نسمعها تتصاعد هنا وهناك مطالِبة بدراسة الفلسفة وتدريسها. بل إن هناك مشاريع قائمة الآن لإحياء الفلسفة في بلادنا، هذه الفلسفة التي قامت بدورها المشكور قبل ألفي عام، ولم تعد الآن قادرة على أن تقدم للإنسانية أي شيء مفيد بعد أن استقلت عنها جميع العلوم التجريبية، إضافة إلى علم النفس والاجتماع والجغرافيا والتاريخ، ولم يبق في فنائها سوى القضايا المتعلقة باللاهوت وعالم الغيب، وهي قضايا يجب علينا التسليم بأنها قد انفصلت عنها منذ ألف وأربعمائة عام حين قدّم القرآن أجوبة قاطعة لجميع مشكلاتها.

الوحي أيضًا يقدم منهجًا متكاملاً للحياة؛ يؤسسه على حقيقة أن الإنسان عبد لله اضطرارًا، ويجب أن يكون عبدًا لله اختيارًا. والاستعباد هنا ليس تحكمًا إلهيًّا في الأفعال فقط، بل في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي منها الفكر. فالفكر ينبغي أن يكون محدودًا بمساحة ما سكت الشرع عنه، وهذا أيضًا ينبغي ألا يتجاوز الفكر فيه قيود الشرع؛ فمثلاً حين نتحدث عن الانتماء القبَلي، يجب علينا أن نستحضر أن الانتماء إلى القبيلة مباح شرعًا، وهذا قيدٌ ينبغي أن لا نتجاوزه للمطالبة بالقضاء على هذا الانتماء، كما نستحضر أن الانتماء القبَلي على أساس من التفاضل في النسب محرم، ونستحضر أن الطعن في الأنساب محرّم وهو قيد آخر، فلا يصح استهداف أي قبيلة من القبائل بذكر

hiramagazine.com

نحن نشعر بكفاية الإسلام وبالراحة في تعاطينا لأمور الحياة وفق تعاليمه، لكن ذلك ليس للحرية، بل لما في شرف الاستعباد لله تعالى من الفرج واليسر، وصلاح أمر الدنيا بصلاح الدين.

حراء

مثالبها، كما نستحضر أن كل تكتل على أساس يؤدي إلى الضرر على النسيج الإسلامي للمجتمع محرّم، فلا نطالب بأي تكتلات على أسس قبَلية محضة ما لم يكن ذلك لدعم مُثل إسلامية. حين نستحضر هذه الضوابط لا يبقى أمامنا إلا المحافظة على القبيلة باعتبارها وسيلة للتواصل الاجتماعي بين أبناء الأمة، والقيام مع الفرد من أبنائها في المعونة على نوائب الحق وحسب، وهو نطاق ضيق جدًّا يجرد القبيلة من كل ما من شأنه أن يجعل منها قنبلة موقوتة تفجّر نفسها وتتحطم عليها كل المكاسب، وعليه فلا يقبل أي فكر قبَلي لا يسير في هذا النطاق المحدود لدعم القبَلية.

وقد اخترت هذا المثال لاعتقادي أن قليلاً جدًّا من القراء سيختلف معي فيه، وإلا فالأمثلة كثيرة في مجالات التعليم والإعلام والتنمية والاقتصاد والخدمات والعمل والسياسة والسياحة والعلاقات الدولية والاجتماع والدعوة والفنون، وكل ما يتفرع عن هذه العناوين، بل والبيئة والتصنيع أيضًا، كلها نطاقات شملها الوحي بالضبط وبالتحديد؛ إما إجمالاً ككل ما يتعلق بالأنظمة، أو تفصيلاً ككل ما يتعلق بالفرد وعلاقته بالخالق والمخلوقين.

وهذا ما أعنيه بالشمول في خطاب الوحي، وهو شمول عرفناه باستقراء نصوص الوحي من الكتاب والسنة، يجعلنا الإيمان به نتحرى ألا نجتهد في صياغة أي فكرة قبل أن نبحث عن الضوابط الشرعية لها، أو للنوع الذي تندرج فيه.

وحين نصل إلى هذه الضوابط فلا مناص من التسليم التام لما ثبت بالشرع، لأن الله تعالى يقول: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة:١١٢)، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(آل عمران:٣١)، ويقول ﷻ: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(النساء:٦٥)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾(النساء:١٢٥)، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾(الأحزاب:٣٦)، ويقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(القصص:٦٨).

كما أن حياة الإنسان اليومية مضبوطةٌ بخطاب الشرع طيلة يومه وليلته؛ حيث لا يخرج عمل من أعماله عن أن يكون له حكم في الشريعة الإسلامية، وهذا ما يجعلنا نعيد النظر فيما يقال "إن الإسلام دين حرية". وأعتقد أن هذه العبارة ليست أصيلة في تراثنا الإسلامي، وإنما جاءت في معرِض الردّ على الحملة العلمانية الماسونية التي جعلت شعارها العدل والحرية والمساواة.

فجاء جوابنا: إن الإسلام يكفُل للمسلم حرية منضبطة بضوابط الشرع. لكننا حين نتأمل ضوابط الشرع نجدها –والحمد لله– كثيرة وكثيرة جدًّا، بحيث لا يمكن إقناع أحد أننا معها يمكن أن نكون أحرارًا.

كنت أتمنى لو كان جوابنا على دعاوى الحرية: إن الحرية في النهاية هي عبادة النفس وتأليه الهوى، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾(الفرقان:٤٣). والإسلام أمرنا بالخروج من ذلك إلى الدخول في عبوديته سبحانه، تلك العبودية التي لا يمكن للإنسان معها أن يكون حرًّا مطلقًا، ولا حرًّا بضوابط ولو كانت ضوابط الشريعة؛ لأن الحرية مصطلح له أبعاده الفلسفية، وهو بهذه الأبعاد لا يمكن أن يتوافق مع ضوابط الشريعة إلا من حيث دلالته في لغتنا العربية، ولا يخفى أن المصطلحات غير مرتهنة بدلالتها الأصلية في لغاتها. وحين نقول: إن الإسلام أعطانا الحرية المنضبطة بضوابط الشرع، فإننا نتنازل عن المصطلح الأشرف والأسمى والأكثر تأثيرًا في النفوس

hiramagazine.com

-وهو الاستعباد الخالص لله- إلى مصطلح ملفق من نتاج الماسونية ومشاعرنا الدينية، ونحن نريد مصطلحًا صريحًا إسلامي الأصل والمنشأ والولادة.

وحين نرسخ مفهوم الاستعباد التام لله تعالى، فإننا نرسخ أيضًا واجب التسليم لله ﷻ ولأمره ونهيه، والرضا بما أمر كتسليمنا بما قسم وقدّر.

فالتسليم لله تعالى هو وحده الكفيل بالقضاء على كل مطالبة تخالف النص وتستند إلى ما يعرف بحقوق الإنسان، ويجد المتحمسون لها أصلاً في مقاصد الشريعة العامة، لأن عدم التسليم الحق هو الذي يؤدي إلى محاولة لَيِّ أعناق النصوص أو تعطيلها من أجل موافقة الهوى دون أن يكون هناك داع للتأويل أو التعطيل.

ومن تتمة الحديث عن عظيم الابتلاء بمصطلح الحرية، تطرف البعض في استخدامه؛ ومن ذلك أن منهم من جعله مقصدًا من مقاصد الشريعة ينضاف إلى حفظ الدين والنفس والمال والعقل والعِرض، مع أننا لا نجد هذا المصطلح في نصوص الشريعة ولا في اللغة العربية بأسرها يطلق إلا على ما يقابل الرق، والشريعة تحيط الإنسان بأحكامها الخمسة من الوجوب والتحريم والكراهة والندب، وليس ثم خيار مطلق إلا في الإباحة، وحتى هذه نجد أن الخيار فيها غير مطلق؛ فإن المباح الواحد لا يكون مباحًا إلا باعتبارات ربما تكون متعددة؛ فالنساء مباحات للرجل ما عدا المحارم منهن، ولا تتم الإباحة إلا بعقد ومهر، وحين يضم الرجل أربعة نسوة تحرم عليه جميع نساء العالمين، وتحرم مع المرأة الواحدة أمها وأخواتها وخالاتها وعماتها.

والأكل كله مباح، إلا إذا كان مسكرًا، أو مخدرًا، أو مفترًا، أو غير مذبوح، وغير مذكور اسم الله عليه، وليس سبُعًا، أو ذا ناب، أو خبيثًا، أو خنزيرًا، أو دخل في تركيبه شيء من ذلك.

والبيع كله حلال، إلا إذا كان بيع مال بمال، أو حيلة على بيع المال بالمال، أو بيع مجهول، أو غائب، أو غير مقدور على تسليمه، أو غير موصوف بوصف منضبط، ولا بيع منابذة، ولا ملامسة، ولا جلبًا متلقًّى من الركب، إلى آخر ما يذكر هناك.

إن كل الأمة -مجتمعة- مخاطبة بالوحي، فإن كل فرد من أفراد الناس مخاطب على حدة بهذا الوحي، والكل مطالب بتدبره وتأمل أوامره ونواهيه، ليس ذلك لأحد دون أحد، العلماء والعامة على حد سواء.

حراء

نعم، نحن نشعر بكفاية الإسلام، وبالراحة في تعاطينا لأمور الحياة وفق تعاليمه، لكن ذلك ليس للحرية، بل لما في شرف العبودية لله تعالى من الفرج واليسر، وصلاح أمر الدنيا بصلاح الدين.

وقل مثل ذلك في الفكر، فإن المرء مطالب بالنظر إلى الكون والوجود بجملته وتفاصيله وفق الرؤية الإسلامية، وبالمنظار الشرعي لا غير.

وممن تطرف في الحرية، من جاء بهذا الاصطلاح الغربي نفسه فطالب بالليبرالية الإسلامية، والغالب على هؤلاء أنهم غير متحمسين للتسليم للإسلام، وإنما يحاولون ترويج معاناتهم الهوائية -نسبة للهوى لا للهواء- بإضافة الإسلام كتذكرة عبور إلى مجتمعاتنا لا أكثر من ذلك.

الوحي بنوعيه -الكتاب والسنة- نزل على رسول الله ﷺ مخاطبًا كل الناس وكل المؤمنين به، وكما أنهم يؤمنون به إجمالاً وتفصيلاً، فإن خطابه تعالى لهم إجمالاً وتفصيلاً، وكما أن كل الأمة -مجتمعة- مخاطبة بالوحي، فإن كل فرد من أفراد الناس مخاطب على حدة بهذا الوحي، والكل مطالب بتدبره وتأمل أوامره ونواهيه، ليس ذلك لأحد دون أحد، العلماء والعامة على حد سواء، يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(ص:٢٩)، ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾(النساء:٨٢).

وتدبر القرآن لا يكون صحيحًا إلا بقراءته كاملاً وردّ بعضه إلى بعض وتفسير بعضه ببعض، وكذلك السنة لا يكون تدبرها إلا بردّ بعضها إلى بعض وإلى القرآن.

وعكس ذلك، اجتزاء بعض آيات القرآن وعزلها عن بقيته، أو أخذ بعض الأحاديث وترك تفسيرها بالقرآن أو تفسيرها ببعضها، فإن ذلك من اتباع الهوى واتباع

hiramagazine.com

المتشابه الذي حذّر الله تعالى منه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(آل عمران:٧).

وهذه الآية كما أنها دليل هذه المسألة، فإنها أوضح الأمثلة عليها، فهناك من يستدل بها على تفويض علم القرآن لله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾.. على اعتبار أن الوقف هنا، ولو قرأوا القرآن قراءة كاملة وردوا بعضه إلى بعض، لعلموا أن المراد بالتأويل وقوع ما أخبر به الله تعالى، وهو أحد معاني التأويل الواردة في الشرع، وذلك أخذًا من قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(الأعراف:٥٣).

وكما أن كل المؤمنين مطالبون بالتدبر، فقد فرق القرآن بينهم على أساس قدراتهم على استنباط الأحكام منه، فقال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(الزمر:٩). والعلم الذي يتفاوت الناس فيه في استنباط الأحكام هو العلم بطرائق هذا الاستنباط، وهي مجموعة من العلوم مسؤولة عن التمييز بين المحكم والمتاشبه، والمجمل والمبين، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، وفائدة كل قسم من هذه الأقسام من حيث دلالته على أحكام الشرع.. كما أنها مسؤولة عن دلالات الألفاظ ومعاني الحروف، ومدى تعلق الأحكام بأسباب النزول، وأسباب ورود الحديث.

فمن الأمور التي يتفاضل فيها الناس في استنباط الأحكام من مصادره، مدى إحاطتهم بهذه العلوم. فكلما كانت آلة الإنسان من هذه العلوم أكبر، كان أقدر على استنباط الأحكام، ومن لم يحمل هذه الآلة فهو من الذين لا يعلمون، وهم -والله أعلم- من عَنَاهم سبحانه بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ۞ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل:٤٣-٤٤).

والحقيقة المُرَّة أننا في عصر قلَّ فيه حمَلة هذه الآلات مجتمعة، مما أضعف من قدراتنا على مواجهة الواقع بما يناسبه من أحكام على أساس استنباط الأحكام من الكتاب والسنة، فحتى الكثير من المتخصصين في هذه العلوم -كما نشاهد- لا يصدرون في إبداء الأحكام عن استفراغ للوسع في دراستها كما هو المفترض فيهم، بل يقعون في أحكامهم تحت تأثير أحد أمريين؛ إما ضغط الواقع، أو الخوف من الواقع، وهما مؤثران خطيران جدًّا على مكانة ما يصدر عنهم من فتاوى وآراء، حيث يحولان دون النظر إلى النص بروح التجرد إليه والانصياع التام له، مع أن الفريقين مؤمن بحاكمية النص ومرجعيته، لكنهم -أي أفراد الفريقين- يضطرون إما إلى الحكم مباشرة من منطلق ما يحملونه من مشاعر اتجاه واقعهم دون البحث عن النصوص، أو إلى اختزال دلالة النص إلى مساحة لا ظلال عليها من ضغط الواقع أو الخوف منه.

والحق في هذا السياق أن يكون التأني في فهم الواقع وتقدير حاجاته تقديرًا صحيحًا بعيدًا عن ضغطه أو الخوف منه، هو المرحلة الأولى في إعطاء الحكم فيما يستجد فيه من مسائل. وهذا الأمر -أي الفهم- وإن كان الكل يدّعيه، لكن الشواهد تشير إلى أن الكثير بعيدون عنه، وهذا يُرجعنا إلى ما ذكرناه آنفًا من اشتراط صحة التصورات، ومن ثم صحة التصديقات، ويليها صحة الجمع بين هذه التصديقات للوصول إلى المعرفة الصحيحة. وما نلاحظه في هذه المسألة أن ما أشرنا إليه من وسائل المعرفة الصحيحة، لا يستخدم كثيرًا لدى أكثر القراء والكتاب، مما يؤكد أنهم لم يعُوا حقيقة الواقع وإن زعموا أنهم في كل ما يقولونه صادرون عن استيعابه. ■

(*) أستاذ في أصول الفقه، جامعة أم القرى / المملكة العربية السعودية.

hiramagazine.com

أ.د. عرفان يلماز*

القرد يحكي قصته

عزيزي الإنسان، اعلم أن جميع الحيوانات والنباتات، تخضع في خلقها لشروط فيزيائية وكيميائية كسائر معجزات الله التي تختفي وراء ستائر الأسباب. ولكن بعض الناس قاموا بحصر اهتمامهم في هذه الأسباب والشروط الظاهرة؛ تجاهلوا عمق العلم الكامن فيها، والقدرة التي تتجلى في حقيقتها، ثم انحدروا إلى مهالك الإنكار والإلحاد باسم "العلم" و"العلمية".

ومن ثم يدهشني حماس البعض منكم على إيجاد قَرابة بيني وبينهم، ويحيرني -كذلك- لجوء هؤلاء إلى جملة من الأكاذيب والتحليلات المستحيلة التي تتجاوز العقل. كانت بعض أنواعنا تعيش في عصور ما قبل التاريخ ثم انقرضت، وكان فيها أنواع كبيرة وعملاقة بحجم الغوريلا والشامبانزي والأورانغوتان، كما كان فيها أنواع صغيرة كالليمور.. انقرضت بعضها بتقدير الله ﷻ، واستمر بعضها الآخر بإذنه وإرادته سبحانه. وعندما يعثر البعض منكم على مُستحاثات هذه الأنواع المنقرضة، يصيح بكل قوته: "ها هم أجدادُنا الذين انحدرنا منهم.. وها هو الشكل التي يجمعنا بالقرود في الماضي السحيق".. وإنْ تصدى لهم أحد وقال: "هذه مستحاثاتٌ لأنواع منقرضة من القرود"، وصموه بالكذب والرجعية.. ليس هذا فحسب، بل ذهب بهم الحد إلى أن زرعوا في أخاديد الأسنان في فكي قرد من الأورانغوتان، أسنانَ الإنسان لكي يتمكّنوا من إثبات ادعاءاتهم، بل وسمّوا هذه المستحاثة البائسة المسكينة رجل "البيلداون" (Piltdown). ولكن ماذا كانت النتيجة؟ لقد ظهر الزيف وسقط الاستدلال. يعثر أحدهم على مستحاثة سنّ مفرد وحيد، ويقدمه على أنه من بقايا جد الإنسان القديم، ولا يكتفي بذلك بل يكوّن من هذا السنّ صورة لذلك الأصل ويرسمه، ثم يغرب في الخيال أكثر ويرسم صورة زوجة له يسميها "Hespero-pithecus Haroldcooki"، ولكن تظهر البحوث اللاحقة على أن ذلك السن سن خنزير فقط.. وكم من المستحاثات الكثيرة غير المكتملة، وهياكل الأنواع المنقرضة التي تقارب الهياكل البشرية، يسعى وراءها في هَوَس عجيب مَن يبحث عن قرابة تربط بين القرد وبني الإنسان!

فماذا يقصد هؤلاء من وراء هذه البحوث، وهذا الإصرار العجيب على عقد المقارنة بيني وبينكم؟!

ولنفترض أنهم أثبتوا ذلك، فما الذي سيجنونه من هذا الإثبات؟! لقد جعلكم الله خلفاء في أرضه، ورفعكم إلى مقام أشرف المخلوقات، فلماذا هذا الإصرار على الانحدار؟! نعم لابد من سبب دافع إلى ذلك.. وأعتقد أن السبب هو الهروب من مسؤولية التكليف بالعبودية لله ﷻ. إذ يظنون بأنهم إن أثبتوا انحدارهم من سلالة القرود، فإنهم سينجون من مسؤولية العبودية والعبادة لله سبحانه. يظنون بأنهم إن أسكتوا أصوات ضمائرهم سيصبحون مثلنا؛ لا يحملون همَّ الأخلاق، ولا يشعرون بأعباء الحياء، ولا يخشون جزاءً، ويعيشون حياتهم وفق أهوائهم في حرية مطلقة لا قيد لها.. ثم إنهم يعتقدون أن الطريق إلى تلك الحرية والتخلص من قيود الأخلاق والعبادة والدين، يبدأ من هنا؛ أي من إنكار الخالق وتبني الإلحاد، ولذلك يضعون نظرياتهم بخلاف الأبحاث البيولوجية وقوانينها، ويتشدقون بالعلم منقِّبين عن أقصر طريق مفض إلى الإلحاد.. ويسوّقون أنفسهم وكأنهم رجال متقدمون، ويلقون على الآخرين عباءة اللاعلمية والتخلف والرجعية!

وعلى الرغم من كل الأبحاث العلمية التي تبين استحالة وجود جزيئة بروتين واحدة -فضلاً عن كائن حي متكامل- عن طريق الصدفة، فإن كل طرق الإلحاد والادعاءات الباطلة حول التقدم العلمي، تنطلق من أزلية الطبيعة وأنها خلقت نفسها بنفسها عن طريق الصدفة! نعم، إنهم يعتمدون الحقائق التي تبينها الآليات البيولوجية، كالتكيف والاصطفاء والطفرات في مجال الأبحاث البيئية والجينية الوراثية، ويؤوّلونها تأويلاً بعيدًا يتجاوز طاقتها وأهدافها البحثية. وإن سأل سائل: ألا يمكن أن يكون الله سبحانه قد أخرج الإنسان فعلاً من القرد بما يتوافق مع نظرية التطور؟ هذا السؤال يمكن أن يوقع صاحبه في أفكار خاطئة دون شعور منه يؤدي به إلى الإلحاد وإنكار الخالق سبحانه؛ لأن الآليات البيولوجية التي تشكل أساس "نظرية التطور"، تقوم على قاعدة الصدفة وعلى الطبيعة البعيدة عن الشعور والعقل والإدراك. وإذا ما نجحت هذه النظرية في إثبات إمكانية وجود خلية بروتينية واحدة عن طريق ردود الأفعال الكيميائية التصادفية، انتقلت إلى إثبات أن جميع الكائنات الحية تطورت عن بعضها بالتكيف التصادفي؛ أي باصطفاء طبيعي عشوائي قاسٍ لا يرحم، انقرضت أنوع من المخلوقات كانت تعيش على الأرض، ونشأت بالطفرة الوراثية المستقلة -التي لا تحتاج لتقدير أو تحكم إلهي- أجيالٌ أشد ملائمة للحياة! إذن، لا مكان في هذه النظرية لخالق مبدع حكيم، بل هناك طبيعة قاسية عمياء لا ترحم، مستقلة بنفسها، وتعمل بأدوات التكيف والاصطفاء والطفرات التصادفية، وردود الأفعال! نعم، يتخذ هؤلاء أسلوبًا خفيًّا مموّهًا بالعلمية والمنهج العلمي في سبيل الإلحاد، بدلاً من الإنكار الصريح لوجود الله سبحانه.

لكن الله ﷻ غني عن الاختبار والتجريب الذي يحتاجه الإنسان العاجز، بل هو سبحانه الغني المطلق.. وهو سبحانه بعلمه المديد وقدرته الواسعة، منزه عن أن يخلق خلقًا لا يعرفه، أو أن يخلق خلقًا لا يعجبه فيسعى إلى التطوير في خلقه بالتجريب والاختبار، بل إنه ﷻ الخالق كل شيء بقدر. إننا إذا قمنا بدراسة حول ملايين الكائنات، فهل يمكن أن نرى خللاً أو قصورًا في أيّ واحدة منها؟ إذا نظرنا بتمعن، فهل يمكن أن ندعي ظهور عضو بالصدفة؟ إن الذين لا يدركون حكمة الطفرات الضارة التي تبدو وكأنها برزت صدفة في الجينات، يدّعون أن هذه الطفرات تراكمت مع مرور الزمن أو ظهرت فجأة، وأوجدت بالصدفة الأعضاء الكاملة لتحوّل نوعًا من الأحياء إلى نوع آخر!

فلا يغرنكم الأسلوب "العلمي" الذي يلجأ إليه أصحاب نظرية التطور الفاسدة في تعليل الوجود، لأنها نظرية غير قابلة للتجربة والتكرار في المختبرات، لذلك ستظل دائمًا خارج مجال البحث العلمي.

ولو توقفت عند مشيتي ومشيتكم فقط؛ لاستغرق بيان الفروق التشريحية بيننا في الظهر والفخذين ساعات طويلة، فكيف الأمر لو بحثنا في توزع الشعر وأشكال اليدين والقدمين والفم والأنف والجبهة والأذنين؟! إنه ليضحكني كثيرًا مَن يدعي بأن بعض أنواعنا كان لها ذيل، ثم ضمرت منها الذيول، وتضخم دماغها حتى

hiramagazine.com

تمكنت من التفكير ومن استخدام الآلات وأصبحت إنسانًا! لقد وهب ربي لكلِّ حيوان ما يلزمه من هذا الدماغ المعقد.. خلق مليارات الخلايا العصبية وجمعها في ترتيب خاص على شكل مراكز، وهذه المراكز تقوم بما تحتاجه من سمع وبصر وشم وإحساس. ثم إنه سبحانه ميزكم بمشاعر ذات أبعاد روحية معنوية، وزودكم بدماغ وفقًا لهذه الأبعاد، وجعل فيه مراكز للذاكرة، والتعلم والنطق والكلام. إنه -باختصار- جعل دماغكم متميزًا عن دماغنا بما لا يقبل المقارنة والتشابه والقياس. ورغم ذلك يصرّ بعضكم على تطوّر دماغي وتحوّله إلى دماغ إنسان.. يا له من جهل أعمى.

ويتوقف بعضكم عند نهاية "عجب الذنب" والأمعاء العوراء، ويدّعون بأنهما من البقايا غير الضرورية التي انتقلت مني إليكم! وأرى أن هذه الادعاءات التي طرحت قبل خمسين سنة، أكل الدهر عليها وشرب. وإذا أصغيتم للباحثين في علم التشريح، فستدركون أهمية عجب الذنب والوظيفة التي يؤديها في عملية التبرز، وأهميتها الحياتية -كذلك- في الولادة لدى نسائكم. كما أن الأمعاء العوراء بمثابة معمل مهم لإنتاج اللمفاويّات الضرورية في جهاز المناعة في نظام الهضم، وله دور مهم في التهابات الأمعاء لا يلقي الكثيرون لها بالاً.

نعم، إنه يترتب عليكم بدلاً من أن تبحثوا عن الأعضاء التي لا عمل لها في أجسامكم، أن تبحثوا في أسرار التناغم والانسجام والتكامل العظيم بين الأعضاء التي خلقها الله لكم وزيّنكم بها، وأن تبحثوا عن حكمة وجودها.. إنْ فعلتم ذلك تحققت -عندئذ- على أيديكم اكتشافات كثيرة مفيدة للإنسانية، ترفعكم بين الناس وتقرّبكم إلى الله العلي القدير صاحب الأكوان.

حتى نكون بشرًا

كنت أنوي أن أحدثكم عن الحِكم التي تتجلى في خلقي، وأتكلّم عن تجليات أسمائه الحسنى البديعة فيه، غير أن عاطفتي أسَرتْني، وأوغلتُ في الحديث عن شبهات التشابه بيني وبينكم، واستطردت في بيان حقيقتها على غير إرادة مني.. فأنا لم أعدْ أتحمل إصرار بعضكم على مثل هذه النظرية الباطلة، وتشويش

أذهان الناس بالخرافات، وتجاهلهم عن خصائصكم الإنسانية التي ترفعكم على سائر المخلوقات.. يا أسفًا على ما تفعلون.. أرجوكم نقّبوا عن الحقائق، واعلموا قدر نبيكم ﷺ الذي أُرسل إليكم، وتبحروا في القرآن فهرست الوجود والكائنات وتفكروا في آياته.. فإن كان ثَمَّة طريق للهداية، فإنها في تلك الآيات الجليلة.

إياكم ثم إياكم أن تعقدوا قرابة بيني وبينكم، فتكونوا من الخاسرين.. والندامة بعد فوات الأوان لا تنفع. فأنا أشبع بطني بكمية من الموز، وأتسلى بالتدلي والقفز من شجرة إلى أخرى، وأجد متعتي بقضاء وقتي ضمن أسرتي وعائلتي والحمد لله.. لكنكم لن تستطيعوا إسكات ضمائركم الملحة على إظهار الحقيقة، ولا إخماد أرواحكم المتعطشة إلى العبودية، ولا الاطمئنان في قلوبكم، ولا الراحة في تفكركم.. إلا بالإيمان بالله ربكم، وبغير هذا الإيمان لن تعيشوا إلا التعاسة والشقاء. لأن ندامة الماضي وهموم الحاضر ومخاوف المستقبل ستلازمكم في كل حين ولحظة، ولن تمنحكم الراحة أبدًا.. لن ينفعكم التشبّه بالحيوانات والخروج عن إنسانيتكم.. ففي ذلك جحود لله وإنكار لنعمه وآلائه. حذار ثم حذار من هذا الجهل المظلم.. كونوا كما أنتم، ولا تتخلوا عن إنسانيتكم أبدًا. ■

(*) أستاذ بجامعة ٩ أيلول / تركيا. الترجمة عن التركية: مصطفى حمزة.

hiramagazine.com

محمد بكور*

تفسير التاريخ عند النورسي

إن فكرة غاية التاريخ أو معنى التاريخ، تستمد جذورها من جوهر الإسلام. فعلاقة الدنيا بالآخرة تنتج "معنى الوجود"، ومن هذا المفهوم المركزي صاغ النورسي رؤيته للتاريخ.

إن الله تعالى لم يخلق هذا الكون عبثًا، ولما كان الإنسان هو مركز هذا الكون و"ثمرته"، فإن وجوده وحركيته لهما معنى ومغزى. فحياة الإنسان هي اختبار وامتحان، وبعد موته يتلقى جزاءه إما خيرًا أو غير ذلك. إن إيماننا بحياة أخرى نفضي إليها بعد موتنا -وهي حياة أبدية خالدة لا نهاية لها- يضفي على التاريخ معنى.. فلا تعود أحداث التاريخ أشتاتًا لا ناظم لها، كما لا يعود الزمن التاريخي بلا هدف، بل إن زمن بدايته معروفة ونهايته معلومة. يبدأ هذا التاريخ منذ أراد الله خلق الإنسان وحقق إرادته بخلق آدم، وينتهي بيوم القيامة. وهو تاريخ لا يسير في طريق مستقيم نحو التقدم كما يعتقد الوضعانيون، بل هو صراع مستمر بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، بين العدل والظلم.

يستعمل النورسي كثيرًا كلمة التقدم، لكنه لا يقصد المفهوم المادي الذي ينظر إلى التقدم كقيمة مطلقة تتحقق بالضرورة مع مرور الزمن؛ إن التقدم يعني تحقيق الإنسان لحقيقة الاستخلاف في الأرض وإقامة الشريعة، ومن ثم فإن مسيرة الإنسان تتأرجح بين التقدم

وضده. وما تزعم المدنية الغربية لنفسها من تقدم فهو على وجهين: جزء هو شر ووبال على الإنسانية كصناعة الأسلحة المدمرة والسفاهة الأخلاقية والصراعات القومية، وجزء إيجابي يخدم الإنسانية هو في الأصل من تأثيرات الشرائع السماوية، كالنظام والقانون والشورى والعدل. إن التقدم هنا لا يكفي نفسه بنفسه، بل يحتاج لشيء متعال يقرر حقيقته، وليس هناك سوى الشريعة معيارًا لمحاكمة حقيقته.

يعتبر النورسي أن غاية التاريخ إيجابية تتمثل في تحقيق الحرية والعدالة للإنسان؛ الحرية مما سوى العبودية لله سبحانه. وانطلاقًا من ذلك فإن المشروع الحضاري لكل الشرائع السماوية يسعى لبلوغ الحرية والعدالة، حيث هما شرطان لتحقق التكليف الشرعي. ورغم قوة الباطل وجبروته، فإن التاريخ يسير في اتجاه "التقدم" أي تحقيق الشريعة، ولذا فإن المستقبل هو للإسلام لا لغيره.

مراحل التاريخ

جاء في كتاب "صيقل الإسلام": "وأقصد من أبناء الماضي أولاً؛ القرون الأولى والوسطى لما قبل القرن العاشر لغير المسلمين، أما الأمة الإسلامية فهي خير أمة في القرون الثلاث الأولى، وأمة فاضلة عامة إلى القرن الخامس، وما بعده حتى القرن الثاني عشر أعبّر عنه بالماضي، أما المستقبل فأعده ما بعد القرن الثاني عشر".

تلخص هذه الجملة التحقيب الجديد الذي يقترحه النورسي للتاريخ. والملاحظ أنه تحقيب لا يراعي استمرارية الزمن وتواصله، بل ينبني على معايير إيمانية وأخلاقية وحضارية. وهو تحقيب يشمل ثلاث مراحل تارخية: الماضي، أمة الخيرية والأفضلية، المستقبل.

١-الماضي: يدخل ضمن الماضي تاريخ غير المسلمين، وتاريخ المسلمين في عصور الانحطاط (ما بين القرنين الخامس والثاني عشر الهجري). ما الذي يجمع بين هذه الأزمنة والمجتمعات المختلفة؟

في الماضي "كان السائد في الأغلب هو القوة والهوى والطبائع والميول والأحاسيس، لذا فإن إحدى سيئاته أنه كان هناك في كل أمر من أموره -ولو بصورة

إن النورسي بلور "فلسفة تاريخية" تمتح من روح القرآن الكريم، وتستلهم دروسه الكثيرة. وقامت هذه الفلسفة على النظر إلى التاريخ كمجال لحركة الإنسان وإبداعه في ظل الرعاية الربانية المتمثلة في التوجيه والهداية عبر السلسلة النورانية للأنبياء والرسل.

حراء

عامة- تحكّم واستبداد، ومداخلة الالتزام والتعصب، والانحياز المانع عن كشف الحقيقة". يصبح الماضي هنا رمزًا للمعصية والابتعاد عن الشريعة. فمتى ساد الباطل وتقهقر الحق فثمة الماضي.

٢-أمة الخيرية والأفضلية: تمثل القرون الثلاثة الأولى بعد النبوة، فترةَ الخيرية بدلالة النص الحديثي. إنها المرحلة التاريخية الوحيدة في تاريخ الإنسانية التي جمعت هذا العدد الهائل من أهل الصلاح والخير. لقد "كان المهيمن في خير القرون وعصور السلف الصالح، هو الحق والبرهان والعقل والشورى، ولم يكن للشكوك والشبهات موضع". أما بعد هذه القرون الثلاثة فقد تراجع الحق والعدل، إلا أن الأمة حافظت على مرتبة الأفضلية بما بقي فيها من صلاح وطاعات.

٣-المستقبل: يُدخل النورسي المستقبل ضمن التاريخ باعتباره مرحلة رغم أنها لم تأت بعدُ، إلا أن حقيقتها أصبحت معلومة لديه؛ "المستقبل للإسلام"، هذه حقيقة كان يراها النورسي رأي العين، وقد تحقق له ذلك بالبراهين العقلية والكشوفات الرحمانية، ولا يمل من تكرار هذه الحقيقة وتقديم الحجج المقنعة خلال كل كتاباته، ثم إن هذا المستقبل الموعود هو الامتداد الطبيعي لأمة الخيرية.

التاريخ والقدر

خصص النورسي رسالة خاصة في القدر (الكلمة السادسة والعشرون) محاولاً حل أسرار مسألة "القدر الإلهي والجزء الاختياري".

يرى النورسي أن "المؤمن يعطي لله كل شيء، ويحيل إليه كل أمر، ولكي لا ينجو في النهاية من التكليف والمسؤولية يبرز أمامه الجزء الاختياري قائلاً له: أنت

الحدث التاريخي من فعل الإنسان، لكن يد القدر الإلهي موجودة بوضوح في كل حادثة تاريخية، ومهما كان الإنسان فاعلاً ذا اختيار، إلا أن المشيئة الإلهية هي الأصل، والقدر الإلهي حاكم مهيمن، والمشيئة الإلهية ترد المشيئة الإنسانية.

مسؤول، أنت مكلَّف". إن القدر الإلهي يصرف في كل شيء، غير أنه منزه عن القبح أو الظلم، فالله سبحانه لا يفعل إلا ما فيه خير الإنسان، إلا أن هذا الإنسان لا يفهم سر الحكمة الإلهية التي تظل كثيرًا مخفية عن إدراكه. وهذا لا يعني أن الإنسان مسيَّر في أفعاله، كما لا يعني أن المجتمع البشري موجَّه في حركيته التاريخية بشكل خارج عن اختياره، بل إنه يملك المساحة الكافية للفعل التاريخي الحر القائم على الاختيار بين مسارات متعددة.

تقف الرؤية النورسية للحدث التاريخي بين رؤيتين مفرّطتين: النظرة الغيبية التي تغيّب الفعل البشري في حركة التاريخ وتجعل الأمر جبرية صارمة لا يملك الإنسان إلا أن يخضع لها، والنظرة المادية التي تغيّب القدر الإلهي وتلصق بالإنسان صفة الهيمنة والانفراد بالتصرف.

الحدث التاريخي من فعل الإنسان، لكن يد القدر الإلهي موجودة بوضوح في كل حادثة تاريخية؛ "إنه مهما كان الإنسان فاعلاً ذا اختيار، إلا أن المشيئة الإلهية هي الأصل، والقدر الإلهي حاكم مهيمن، والمشيئة الإلهية ترد المشيئة الإنسانية، بمضمون قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(الإنسان:٣٠).

يترتب عن ذلك أن كل حدث تاريخي هو حدث إيجابي مهما تبين لنا فيه من ألم أو مصائب، لأن كل حدث يحمل حكمة ورحمة ربانيتين تسعيان لإسعاد هذا الإنسان وتطهيره من النقائص.

في جواب عن سؤال حول فاجعة الإمام الحسين ﷺ يقدم النورسي قراءة عميقة لهذا الحدث التاريخي، الذي يمكن عدّه حدثًا مؤسِّسًا لانقسام الأمة الإسلامية. تبدأ القراءة بإبراز دور الفعل البشري، حيث إن المحيطين بالإمام -باستثناء المقربين- كان يوجههم التعصب القومي لا خدمة القضية، فجاء الخذلان من فساد النية. ثم ينتقل لاكتشاف الحكمة من زاوية القدر الإلهي مبيّنًا أن الله سبحانه كان يهيئهم لتسنم سلطنة الأولياء المعنوية بدل السلطنة الدنيوية الفانية، فأراد أن يطهرهم من هذه الدنيا وما علق في قلوبهم منها. فكان هذا الحدث الذي نراه بأبصارنا الحاسرة مصيبة، فتحًا وترقية في عالم الولاية.

لم يكن النورسي غافلاً عن الأسباب المادية الفاعلة في حركة التاريخ، إلا أنه كان ينظر إليها كنواميس كونية متممة لخطة القدر. وتبرز التفسيرات المادية في كثير من الأحداث التاريخية التي أوردها النورسي، ويكفي أن نذكر هنا تفسيره لمعضلة العصر؛ رقي أوربا إلى الأعلى وتدني المسلمين إلى أسفل. حيث يقدم تحليلاً يبرز قوة الفكر التاريخي عند النورسي وقدرته على ربط الأسباب والعلل وفق منظور علمي دقيق.

إن التفاوت بين أوربا والعالم الإسلامي، راجع لأسباب ملحوظة أهمها الوضع الفطري لأوربا ومنبع حياتها؛ فهي ضيقة جميلة تملك الحديد متعرجة السواحل تلتف فيها الأنهار والبحار، مناخها بارد. وهذا جعلها تستقطب ربع البشرية رغم مساحتها الصغيرة.

ولكون إنتاج الأرض لا يستوعب تلك الحاجات التي تتزايد باستمرار، تصبح الحاجة إلى الاختراع والصناعة ضرورية، كما يغدو حب الاستطلاع والميل إلى المعرفة بابًا للعلم والتقدم.

ثم إن كثرة البحار والأنهار تتيح التعارف وتطور التجارة، والتعاون والاشتراك في الأعمال، مثلما يحقق تلاحق الأفكار والمنافسة والتسابق. ونتج عن هذا التنافس صناعة الأسلحة التي أثقلت كفة أوربا. ومن الأسباب الأخرى أيضًا قوة الكنيسة التي تشكل نقطة استناد قوية تعزز قوة أبنائها المعنوية وتبعث فيهم الحياة.

أما من جهة المسلمين، فإن ابتعادهم عن نقطة ارتكازهم (وهي الإسلام والقرآن الكريم)، وإشاحة وجههم عن قراءة كتاب الله المنظور (نواميس الكون وقوانينه) هي أسباب هزيمتهم.

غير أن كل هذه العلل والقوانين -في نظر النورسي- لا تخرج عن فاعلية القدر الإلهي وحكمه. إن القدر

hiramagazine.com

يهيء المستقبل للإسلام، فالتقدم الغربي ومستلزمات مدنيته أصبحت عبئًا ثقيلاً يعيق مسيرته، في حين أن العالم الإسلامي لا زال في طور شباب المدنية. لذا فإننا "سنلحق بهم، بل نسبقهم إن حالفنا التوفيق الإلهي، لأن حملهم ثقيل وحملنا خفيف".

خاتمة

كان النورسي واحدًا من مجددي المائة الرابعة عشرة. هيأه الله تعالى لإنقاذ إيمان أمة كان دورها عظيمًا في نصرة الإسلام والدفاع عن حرماته، لكن مكر الاستعمار الشيطاني استطاع أن يغرر بالكثير من أبنائها ليقذفهم في حمأة الإلحاد وإنكار جواهر هذا الدين.

وقد استطاع النورسي، من خلال تجذر إيمانه بحقيقة الإسلام، ووعيه بمتغيرات العصر وتحولاته العميقة، أن يبلور مشروعًا نفّذه بكل حزم وصبر رغم جسامة المحن وعظم البلاء.

نعتقد أنه لولا -بعد توفيق الله وتأييده طبعًا- حدة وعيه التاريخي ونفاذ بصيرته لفهم التحولات السريعة التي كان يمر بها العالم عامة وبلاد المسلمين خاصة، لما استطاع أن يقوم بهذا الدور العظيم في بعث أمة من موتها.

وفي سياقٍ موازٍ، فإن النورسي بلور "فلسفة تاريخية" تمتح من روح القرآن الكريم، وتستلهم دروسه الكثيرة. وقامت هذه الفلسفة على النظر إلى التاريخ كمجال لحركة الإنسان وإبداعه في ظل الرعاية الربانية المتمثلة في التوجيه والهداية عبر السلسلة النورانية للأنبياء والرسل. ومن ثم فإن هذا الإنسان يصلُح تاريخه كلما اقترب من هذه الرحمة الإلهية، ويُظلم مساره كلما غرق في الكفر وابتعد عن مصدر النور. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

المراجع

(١) صيقل الإسلام، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١٠.

(٢) الكلمات، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٨.

(٣) المكتوبات، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٨.

احْذرْ العنكبوتيات!

الشِّباكُ على الطريق منصوبة...
إنْ سقطتَ فيها اعتصرَتك،
وروحَكَ مَصَّتْ، وقلبَكَ أكلتْ...
من ريقها نسجت العنكبوتُ نسيجها،
وأوترتْ شِباكها...
والعنكبوتات البشرية،
بكلامها المعسول تنسج ألف شِراك،
وتنصب ألف فخ...
فحاذرْ من السقوط،
"وإن أوهنَ البيوت لبيت العنكبوت!"

* * *

الميلود كعواس*

مكتبات جمعت تراث الأمة

شهد المغرب الأقصى والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين -وقبل ذلك وبعده- ازدهارًا علميًّا ونبوغًا فكريًّا، كان من تجلياته العناية الكبيرة بصناعة الكتاب تأليفًا ونسخًا وتسفيرًا، وكذا الاهتمام البالغ بتشييد الخزائن التي تحضنه، وعمارتها وتنظيمها، باعتبارها مظهرًا من مظاهر الحركية العلمية والفعل الثقافي بتلك الربوع من العالم الإسلامي.

والعجيب أن هذه العناية بالكتب والمكتبات بالعدوتين لم تكن قاصرة على أهل العلم وطلبته فقط، وإنما تحولت إلى ثقافة شعبية تحرص جميع فئات المجتمع على الإسهام فيها. إذ صار التعلق بالكتاب وإنشاء خزائنه مظهرًا للرفعة والحظوة، ووجهًا من أوجه التعيين والرياسة، يقول "المقري" يصف قرطبة: "وهي أكثر بلاد الأندلس كتبًا، وأشدّ الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة، يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصّله وظفر به".

ومن الأخبار الطريفة المؤكدة لهذا الأمر ما نقل عن الإمام الحضرمي أنه قال: "أقمت مرة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه فيرجع إليّ المنادي بالزيادة عليّ إلى أن بلغ فوق حدّه، فقلت له: يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلّغه إلى ما لا يساوي.. قال: فأراني شخصًا عليه لباس رياسة، فدنوت منه وقلت له: أعز الله سيّدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده.. قال: فقال لي: لست بفقيه ولا أدري ما فيه، ولكنّي أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلمّا رأيته حسن الخط جيّد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق، فهو كثير".

لقد نتج عن هذا الوله بالكتاب والشغف بامتلاكه، بروز عدد من الخزائن العامرة والمكتبات الحافلة التي استجمعت في رحمها مئات الآلاف من الكتب والمخطوطات في مختلف فروع العلم والتخصصات المعرفية.

عمومًا، يمكن تصنيف المكتبات التي كانت موجودة خلال الحقبة المرابطية والموحدية إلى ما يلي:

المكتبات المَلكية

يعتبر هذا النوع من المكتبات، من الظواهر التي تَميزُ الحضارة الإسلامية على امتداد تاريخها. وقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم بعض أسامي الملوك والأمراء المغاربة، الذين عنوا باقتناء الكتب وتشييد المكتبات خلال المرحلة التاريخية التي نحن بصددها، منهم أمير "بطليوس" المظفر بن الأفطس (ت٤٦٠هـ)، الذي وصف بأنه "كان جمّاعة للكتب، ذا خزانة عظيمة، لم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في الأدب والمعرفة"، ومنهم الأمير المرابطي المنصور بن محمد بن أبي داود اللمتوني (ت٥٥٠هـ)، الذي قيل في ترجمته "كان ملوكي الأدوات، سامي الهمة، نزيه النفس، راغبًا في العلم، منافسًا في الدواوين العتيقة والأصول النفيسة، جمع من ذلك ما أعجز أهل زمانه". ومنهم الأمير ميمون بن ياسين المرابطي (ت٥٣٠هـ)، الذي وصفه مترجموه بأنه "كان رجلاً صالحًا معتنيًا بالآثار"، "ذا همة رفيعة في اقتناء الكتب"، ومن ذلك أنه اشترى حين حجه نسخة من صحيح مسلم مشرقية الخط في تسعة وعشرين جزءًا، وكان لا يبالي بما ينفق في ذلك، فقد أثر عنه أنه اشترى أيضًا أصل أبي ذر الهروي من صحيح البخاري بمال جسيم.

كما تذكر المصادر إشارات عن تأسيس يوسف بن تاشفين لخزائن بـ"لمتونة"، عمَّرها بالكتب التي جلبها من خلال رحلاته إلى الأندلس، وعلى دربه سار ابنه عليٌّ فجمع مكتبة عديمة النظير.

ومن أشهر من عرف بعدهما من الموحدين، أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، الذي عرف بشغفه الشديد بالعلم وجمع مظانه، حتى بذل في ذلك التعويضات السنية، بل قد بلغ به الوله بالكتب إلى استعمال القوة في جمعها وانتزاعها من أهلها غصبًا؛ وبذلك جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره، قال المراكشي: "ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك

hiramagazine.com

قبله ممن ملك المغرب". ومعلوم أن مكتبة الحكم، تنيف محتوياتها عن أربعمائة ألف مجلد. بناء على هذه الشهادة يمكن القول: "إن يوسف الموحدي هو المؤسس لأول مكتبة ملكية عظيمة بالمغرب".

وقد حرص خلَفُ أبي يعقوب على عمارة هذه المكتبة بجديد المقتنيات ونفيس المنتسخات، إلا أنها ستتعرض لنكبة مؤسفة عند خلع الخليفة عبد الواحد الأول الموحدي، فنهبت أكثر كتبها واختل نظام سيرها، حتى استقر الأمر لعبد الله العادل -الذي خلف السلطان المخلوع- فعمل على تنظيم ما بقي من كتبها وتمييز الكامل منها، ثم سار على الاهتمام بها خلَفُه أبو حفص عمر المرتضى، إلى أن آل أمرها إلى بني مرين.

مكتبات المساجد والجوامع

هي المكتبات التي كانت تؤثث بها المساجد والجوامع، وهي أقدم أنواع المكتبات الإسلامية، وقد برزت إلى الوجود مع ظهور المساجد. ففي نظري إنه لا يُتصور خلو المساجد الصغيرة من المشرق أو المغرب على الأقل من بعض الكتب -التي تصلح أن تكون نواة مكتبة- كالمصاحف وبعض كتب التفسير والحديث وغيرها، بله المساجد الجامعة؛ كجامع قرطبة وطليطلة وألمرية وإشبيلية والقرويين والكتبية وغيرها وإن كانت المصادر التاريخية لا تسعفنا في تأكيد هذا المعطى إلا في القرن الثامن الهجري وما بعده. ويزداد هذا الرأي قوة إذا علمنا أن هذه المساجد -خاصة الجامعة منها- كانت معاهد للتعليم منذ تأسيسها، وأكيد أن هذا الدور يقتضي أن تحوي بين ثناياها عددًا من الكتب والمصاحف التي يحتاجها الطلبة الواردون عليها على الأقل. وهذا الذي ذكرتُه، تذهب إليه بعض المصادر الأجنبية وغيرها، إذ تؤكد احتواء بعض المساجد للمكتبات؛ كجامع طليطلة الذي وُصف بأنه كان يتضمن مكتبة غنية وحافلة بالكتب، قد استولت عليها القوات النصرانية حين دخول طليطلة سنة (٤٧٨هـ-١٠٨٥م).

وقد ورد أيضًا في بعض المصادر العربية إشارات يمكنها تأكيد هذا الطرح، منها ما ورد عند الحميري في وصف مخزن جامع قرطبة، يقول: "وفي هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان لثقله، فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان ﷺ الذي خطه بيمينه، وفيه نقطة من دمه، وقد نقل من الجامع أيام عبد المؤمن الموحدي إلى مراكش". فهذا النص من الروض يشير إلى وجود مخزن بالجامع، وأن من محتويات هذا المخزن مصحف. فهل يا ترى أكان المصحف يتيمًا بهذا المخزن مع ما عرف به الجامع من عطاء في مجال التعليم والتدريس؟

مكتبات المدارس

وهي الخزائن التي كانت تلحق بمعاهد العلم والتدريس، والظاهر أنها وجدت بوجود المدارس نفسها، ولعل أشهرها في هذه المرحلة التاريخية، مكتبة أبي الحسن الشاري (٥٧٩-٦٤٩هـ) التي وصفت بأنها أول خزانة وقفت بالمغرب على أهل العلم، وقد شيدها الشاري وجعلها ملحقة بمدرسته الشهيرة بـ"سبتة"، إلا أن الفقيه محمد المنوني -رحمه الله- علق على هذه الإشارة التاريخية فقال: "نستبعد أن يتأخر تأسيس المكاتب العامة بالمغرب إلى العهد الأخير من الدولة الموحدية، من غير أن يكون على الأقل في أولها، ومن غير أن يكون لعبد المؤمن وأبنائه أثر في هذا الميدان، لما علم من اهتمامهم بهذا الشأن، واشتهر من ابتنائهم بيت الطلبة وتأسيس الكثير من المدارس بالمغرب وغير المغرب، وكل هذه المؤسسات لا تستغني عن الكتب والمكتبات تكون بجانبها مباحة للعموم". وهذا الرأي الذي ذهب إليه المنوني -رحمه الله- وجيه، وقد أكدته بعض المصادر كـ"مسالك الأبصار" لـ"العمري"، فقد أورد أثناء حديثه عن القصر الذي بناه يعقوب المنصور إشارة قال فيها: "وفي رحبة القصر دارِ الكرامة والأضياف (...) وفي هذه الرحبةِ المدرسةُ، وهي مكان جليل به خزائن الكتب". بناء على هذا أقول إن فرضية وجود هذا النوع من المكتبات بوجود المدارس نفسها، تكاد تفرض ذاتها وإن كانت تعوزنا الأدلة التاريخية في إثبات ذلك.

المكتبات الخاصة

هي الخزائن التي أسسها الأفراد من المجتمع لأنفسهم، إما بقصد الاستفادة منها علميًّا، أو بقصد التباهي

hiramagazine.com

والزينة. وقد كان الاهتمام بالمكتبات الشخصية خلال الحقبة المرابطية والموحدية، أمرًا ملحوظًا في سائر مدن العدوتين. وقد حفظت لنا كتب التراجم أسامي بعضها، منها مكتبة محمد بن يحيى الغافقي القرطبي المعروف بابن الموصل (ت٤٣٣هـ)، وكان هذا الرجل يؤْثر جمع الكتب على كل لذة، وقد اجتمع عنده منها ما لم يجتمع مثله لأحد بعد الحكم المستنصر، وقد بيعت هذه الكتب في تركته، وأغلي فيها حتى تقدمت الورقة في بعضها بربع مثقال.

ومنها مكتبة عمر بن عبيد الله بن يوسف بن حامد الذهلي (ت٤٥٤هـ)، فقد جاء في ترجمته: "وكان معتنيًا بنقل الحديث وروايته وسماعه من الشيوخ في وقته، جامعًا للكتب، مكثرًا في الرواية (...) وعن أبي مروان الطبني قال: أخبرني أبو حفصٍ، أيْ عمر بن عبيد الله قال: شددت في داري بالربض الغربي ثمانية أحمال من كتب لإخراجها إلى مكان غيره، ولم يتم لي العزم حتى انتهبها البربر".

ومنها مكتبة علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمجون (ت٥٩٩هـ)، فقد "لقي أشياخًا جلة وأخذ عنهم، وكان فقيهًا عارفًا جليلاً ذا مروءة كاملة وخلُق حسَن، وكانت له خزانة كتب حافلة".

ومنها مكتبة عبد الرحيم بن الملجوم (ت٦٠٤هـ) التي كونها من مكتبة والده عيسى الذي كان جمّاعة للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة، ومن مكتبة أستاذه أبي عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي، ومما أضاف لهذه وتلك حيث صارت مكتبة حافلة بالنفائس والذخائر.

ومنها مكتبة قرابته عبد الرحمن بن يوسف بن الملجوم (ت٦٠٥هـ)، التي "جمع لها من الكتب ما لم يجمعه أحد من أهل بالمغرب، وخزانة كتبه كانت مشهورة في المغرب"، "وقد ذكر غير واحد من المؤرخين أنه بيعت أوراق كتبه التي هي غير مجلّدة بل متفرّقة، بستة آلاف دينار".

ومنها مكتبة ابن أبي الصقر بمراكش، وهو الحافظ المكثر أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري، نزيل مراكش (ت٥٦٩هـ).. كان كلفًا بالعلم حريصًا عليه، كتب من دواوين العلم ودفاتره ما لا يحصى كثرة، وكان يقتني من الكتب جملة وافرة سوى ما ينسخ بخطه الرائق، فاجتمع له بذلك مكتبة طافحة بالذخائر والنفائس، نكب فيها مرات بضروب من الجوائح كالغرق والنهب.

فهذه بعض من أنواع المكتبات التي برزت بالمغرب الأقصى والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين مع جملة من نماذجها، قصدت بها التمثيل لا الحصر، ذلك أن تتبع أخبار المكتبات أمر يطول، ولعل هذه أمثلة دالة على القصد، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

المراجع

(١) نفح الطيب، للمقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، لابن الأبار، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.

(٣) المستملح من كتاب التكملة، للإمام الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

(٤) صلة الصلة، لأبي جعفر بن الزبير، تحقيق: عبد السلام الهراس وآخرون، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٩٤م.

(٥) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

(٦) لمحة عن تاريخ الخزائن الملكية بالمغرب الأقصى، لمحمد المنوني، منشور بمجلة دعوة الحق، ع:٢٨٨.

(٧) الكتب والمكتبات في الأندلس، حامد الشافعي دياب، دار قباء، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(٨) تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، لعبد الحي الكتاني، ضبط وتعليق: أحمد شوقي بنبين، وعبد القادر سعود، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

(٩) مسالك الأبصار، لابن فضل الله العمري، تحقيق: حمزة أحمد عباس، وآخرون، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١م.

(١٠) وصف إفريقيا، ليون الإفريقي، ترجمة: محمد حجي، ومحمد الأخظر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

(١١) الصلة، لابن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

hiramagazine.com

د. حذيفة أحمد الخراط*

الهاتف الجوال وأخطاره المتوقَّعة

غدت الاتصالات الحديثة بأشكالها المختلفة وصورها المتباينة، جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية، وأصبح ما كان حلمًا في الأمس واقعًا ملموسًا. إذ تقدم العلم في مجال الاتصالات بخطوات متسارعة أخذت تكتشف الجديد والمفيد، وتترك بصماتها الواضحات التي أسقطت بها الحواجز بين الشعوب، وأسهمت في تلاقي الحضارات المختلفة وتلاقح أفكارها، دون أن تعرقلها فروقات التوقيت أو اختلاف الفصول، أو تعيقها جغرافية البر والبحر.

وفي وقتنا الراهن تظهر طفرة غنيّة عن التعريف في عالم الاتصالات التي قرّبت البعيد، ويسّرت أوعية المعرفة، واختزلت الوقت، وحوّلت المقولة المشهورة: "العالم قرية صغيرة" إلى حقيقة مشاهدة يَسهل معها تداول الأخبار والمستجدات عبر وسائل متنوعة وعديدة بدأت على استحياء، وسرعان ما تطورت لتشهد حضورًا قويًّا وجريئًا ما يزال ينمو يومًا بعد يوم.

وطفرة الاتصالات تلك، جعلت بين أيدينا جهازًا صغيرًا سهل الحمل، يصلنا بالعالم كله خلال ثوان معدودات، ولا تكاد دولة حول العالم تنجو من الزحف المستمر لهذا الجهاز الجوال. ولفت الأمر الأنظار إلى دخول أجهزة الجوال إلى كل منزل، كما أشارت التقديرات إلى زيادة عدد مستخدمي هذا الهاتف فوق المليارات، ولا شك في أن هذا العدد يزيد شيئًا فشيئًا وسنة بعد سنة.

كما يشهد مجال الاستثمار في عالم الاتصالات نموًّا ملاحَظًا، وقد نجحت وسائل الدعاية في جذب المستهلكين الجدد، وهي تحثّهم على الدخول إلى عالم الاتصالات الفسيح.

أبراج في كل مكان

وقد أحاطت بنا أبراجُ تقويةِ بثِّ الهاتف الجوال من جميع الجهات، ودعا هذا الحضور القوي العلماءَ إلى دراسة التأثيرات الحيوية الناتجة عن تعرض الجسم لما ينبعث من جهاز الجوال وأبراجه من إشعاعات قد تحمل بين طياتها خطرًا صحيًّا كامنًا يحتمل أن يتم اكتشافه في القريب العاجل.

وتنص كتب فيزياء الأشعة على أن هناك علاقة إرسال واستقبال بين الهاتف الجوال وأبراج تقوية بثّه الخاصة به. وتنشأ في البيئة المحيطة بنا والتي تكثر فيها أعداد أجهزة الجوال وأبراج تقوية إرساله، حقول مغناطيسية كهربائية من أشعة الراديو والموجات الصغيرة المعروفة بموجات الميكروويف، وهي المسؤولة عن التأثيرات المرَضية التي قد تشاهد في من يتعرض لتلك الموجات، وتتناسب شدة تلك التأثيرات طردًا مع مدة التعرّض للإشعاع، فكلما زادت هذه المدة زاد الأثر السلبي الناتج عنها.

إشعاعات الجهاز الجوال

لا تزال الدراسات حول ضرر الجهاز الجوال محدودة، ولم يتم حتى الآن إعطاء الموضوع حقه من جهد البحث، فذلك يحتاج إلى مدة طويلة وإلى المزيد من التنقيب.. وقد تكشف قادمات الأيام أضرارًا ثابتة في هذا المجال، إلا أن أصابع اتهام قوية أخذت في الآونة الأخيرة تصف جهاز الجوال، بالخطر الكامن الذي شرعت آثاره السلبية تتضح شيئًا فشيئًا.

وتقترح بعض التقارير الطبية الحديثة، وجود رابط بين استخدام الهاتف الجوال وإصابة الجسم ببعض الاضطرابات المرَضيّة العابرة، وبخاصة في مستوى الجهاز العصبي؛ مثل الشعور بالإرهاق والصداع والدوار، واضطرابات النوم، وخلل في وظيفة الذاكرة وضعف التركيز، والإحساس ببعض الخَدَر والتنميل والشعور بالغثيان.

إلا أن تقارير أخرى أخذت تُظهر بعض التخوف والقلق بشأن توقعات بوجود علاقة بين كثرة استخدام الهاتف الجوال وظهور بعض الأعراض الخطيرة، مثل الإصابة بأورام الدماغ وارتفاع ضغط الدم، والتعرض لنوبات الصرع لدى الأطفال.

أضرار في الأذن

تمت في جامعة الملك عبد العزيز، دراسة دقيقة تناولت أبعاد الأضرار المتعلقة بالأذن نتيجة تعرضها للحقل الكهربائي المغناطيسي الصادر عن أجهزة الهواتف الجوالة وأبراج التقوية، ودُرست حالة مريض في

حذرت مجموعة دولية من ٢٣ باحثًا وخبيرًا بارزًا من أخطار الهاتف الجوال في حدوث أورام في المخ. وقال العلماء في بيان "إن أحدث الدراسات التي شملت أفرادًا ظلوا يستخدمون الهاتف الجوال على مدى ١٠ سنوات متتالية، تشير إلى احتمال حدوث بعض الأورام الحميدة، وبعض سرطانات الدماغ في المناطق التي توضع فيها السماعة على الرأس".

الثانية والأربعين من عمره، وكانت الشكوى الرئيسة لديه، ضعف حاسة السمع في الأذن اليمنى منذ ثلاثة أشهر، والشعور ببعض الألم داخل الأذن وحولها عقب استخدام الهاتف الجوّال، بالإضافة إلى بعض الأعراض التحسسية في الأنف، ونوبات من الصداع المتتالي.

وذكر المريض أن تلك الأعراض تبدأ بعد استخدام الجوال بدقائق، وقد تستمر في بعض الأحيان مدة ساعة كاملة، كما لاحظ أن استخدامه لهاتف المنزل العادي لا يسبب له في العادة مثل تلك الشكاوى المزعجة. وأفاد بأنه اعتاد استخدام الجوال مدة تقارب ساعتين يوميًّا، واستخدام الأذن اليمنى تحديدًا لسماع صوت المكالمات.

وتم إجراء فحص طبي، والتركيز على فحص الأذن المصابة، وأجري تقويم لقياس حدّة حاسة السمع، فجاءت النتائج مشخّصة لحدوث حالة مرضيّة تُعرف بـ"فقد السمع الحسي العصبي" (Sensorineural Hearing Loss) في الأذن اليمنى التي يستخدمها المريض أثناء مكالماته عبر جهازه الجوال.

وتم متابعة تطور حالة المريض الصحية، فلوحظ

hiramagazine.com

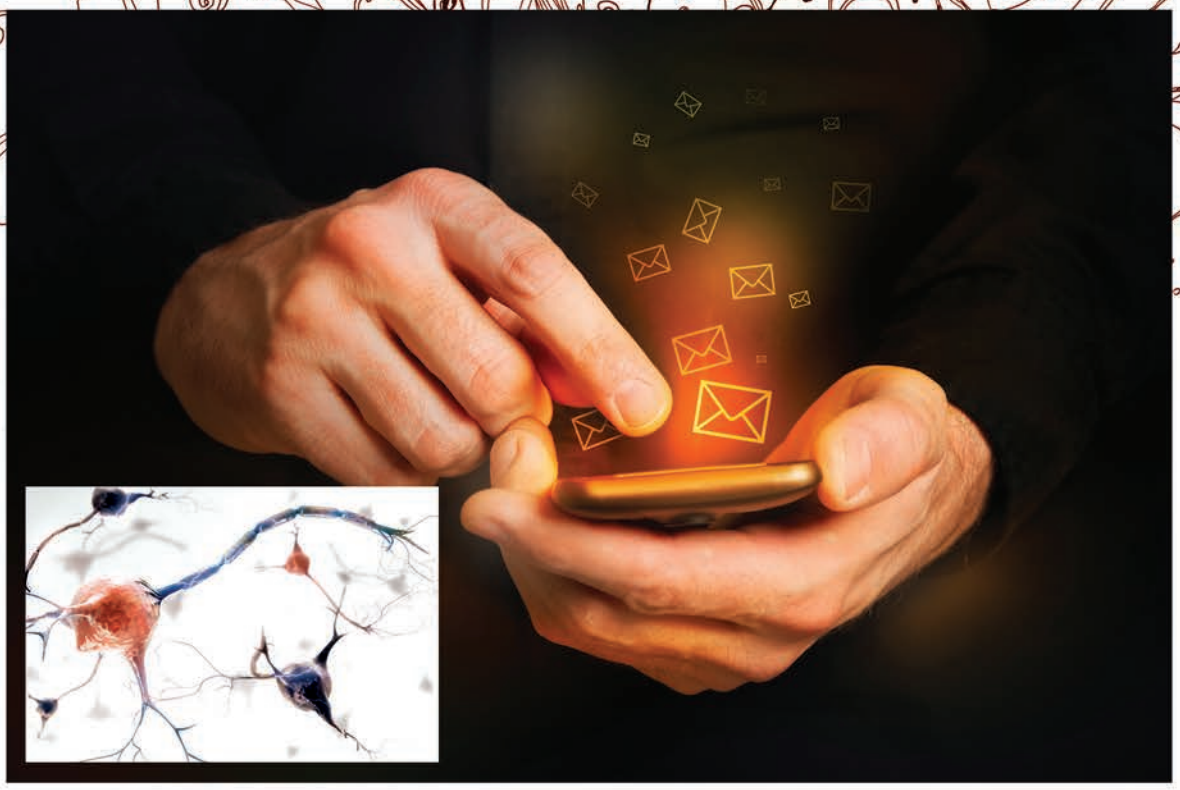

تدهور مستوى السمع لديه مع استمراره باستعمال هاتفه الجوال وفق نظامه السابق. وفي زيارة لاحقة اقترح الطبيب أن يستخدم المريض أذنه اليسرى لتلقي المكالمات الهاتفية، وإيقاف استخدام الأذن اليمنى، واستمر ذلك ستة أشهر، تم بعدها إجراء تقويم جديد للحالة الصحية للأذنين معًا.

وجاءت النتائج مدهشة، إذ تحسّنت حالة الأذن اليمنى بصورة ملحوظة، بينما بدأت حالة الأذن اليسرى تتدهور تدريجيًّا لتصاب بأعراض فَقْد السمع الحسي العصبي سابق الذكر، فأصدر الطبيب تعليمات جديدة إلى مريضه، مفادها ضرورة الحد من استخدام الجوال، فاستجاب لذلك، فلم يتجاوز مجمل مكالماته الهاتفية خمس عشرة دقيقة يوميًّا، واستخدم سماعة خاصة ومكبّرًا للصوت، فقلل بذلك من مدة التعرض المباشر للجوال، بالإضافة إلى إبعاد المسافة الفاصلة بين جسمه والهاتف، ولوحظ بعدها تحسن وظيفة السمع لدى أذنه من جديد.

أما التفسير العلمي لذلك فقد أوضحته الدراسات التي تقول: إن لقوقعة الأذن (Cochlea) مقدرة على امتصاص جزء كبير من موجات الحقل الكهربائي المغناطيسي، مما يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة أنسجة تلك القوقعة وما جاورها، وهذا يؤثر سلبًا في صحّة الخلايا الشعرية (Hair cells)، مما يضعف حاسة السمع بصورة تدريجيّة ملحوظة.

كيف نخفف أضرار الهاتف الجوال؟

إن جسم الإنسان أمانة لديه، وعليه مسؤولية كبيرة تجاه الحفاظ على صحته، وصونه عما قد يحدق به من خطر وضرر، ويدخل ذلك ضمن الالتزام بوصية رسول الله ﷺ حين قال: "إن لجسدك عليك حقًّا" (رواه البخاري)، وقوله ﷺ: "لا ضرر ولا ضِرار" (رواه ابن ماجة).

وثمة العديد من أساليب الوقاية التي تساعد في الحد من تعرض الجسم لمخاطر الإشعاع الصادرة عن جهاز الهاتف الجوال، ومن ذلك تقليل استخدام هذا الجهاز قدر المستطاع بتقليل مدة المكالمة واقتصار استعماله أثناء الحاجة إليه، فكلما زادت مدة المكالمة زاد احتمال ظهور الخطر. ونشير هنا إلى نتائج إحدى الدراسات

التي جاء فيها؛ إن إجراء مكالمة مدة دقيقتين فقط عبر هاتف جوال، كفيلة بتغيير النشاط الكهربائي للدماغ مدة ساعة كاملة.

ومما ينصح به أيضًا، الاعتماد على استخدام الهاتف المنزلي ذي الخط الأرضي، وعدم استخدام الجوال داخل المنزل في حال وجود خط هاتفي أرضي، لا سيما وأن الأخير قد ثبتت سلامته وخلوه من أضرار الإشعاعات.

ويجب أيضًا إبعاد الجوال عن الجسم في حال عدم استخدامه، وليس من الصواب جعله بالقرب منا في المنزل أو العمل. كما يجب إبعاده عن الجسم أثناء النوم، إذ ثمة ما يشير أيضًا إلى تسبيب موجات الجوال لاضطرابات النوم، كالإصابة بالأرق والنوم المتقطع.

ويجب كذلك عدم وضع الجوال مدة طويلة في جيب ما نرتديه من ثياب، أو في حزام الخصر. وتشير دراسات إلى زيادة احتمال الإصابة بالعقم، نتيجة تعرض الأجهزة التناسلية في الجسم لمخاطر أشعة الجوال.

وأثبتت نظرية أخرى، أن إبعاد جهاز الجوال عن الرأس مسافة خمسة سنتيمترات، تخفض ما يقرب من ٧٥٪ من موجات الإشعاعات الواصلة إلى الرأس والعنق، ويشجعنا ذلك على استخدام السماعات السلكية، ومكبر الصوت (Speaker) التي يمكن معها إبعاد الجهاز عن أذن مستمعه ورأسه.

كما يجب الحرص على عدم استعمال الجوال داخل الأماكن المعدنية المغلقة، كالسيارة والطائرة والمصعد، وسبب ذلك أن الأشعة تميل إلى حبس جزء كبير منها داخل الحيز المعدني، وهذا يعني أن الجسم سيجبر على امتصاص كمية أكبر من هذه الأشعة، ولذلك يُنصح بإغلاق الجوال داخل تلك الأمكنة المغلقة.

ومن المهم كذلك، عدم إجراء مكالمات الهاتف الجوال إن كانت إشارة البث ضعيفة، وذلك لأن ضعف الإشارة يجبر الجهاز على زيادة قوته وإنتاج طاقة أكبر، وفي ذلك مزيد من تعريض الجسم لمخاطر الأشعة والموجات.

كما تزيد مخاطر إشعاعات الجوال في حال

أكد بحث روسي علمي أن استخدام الأطفال للهاتف المحمول، يضعف وظائف العقل لديهم لمدة ساعة تقريبًا بعد استعماله، مما ينعكس أيضًا على الوظائف الحيوية للجسم.

استخدامه أثناء ركوب الأجسام المتحركة بسرعة، كالسيارات والطائرات والقطارات، لأن الحركة السريعة تزيد من إنتاج طاقة الجوال وبثه للأشعة، ولذلك يُنصح بعدم إجراء مكالمات أثناء استخدام وسائل النقل تلك.

الأطفال والسيدات الحوامل

يجب تحجيم استخدام الأطفال للهاتف الجوال قدر الإمكان، والاقتصار على ذلك حين الضرورة. ومن المؤلم ما نراه من منظر الكثير من أبنائنا وهم يعبثون معظم أوقاتهم بهواتفهم الجوالة، وليت الأسرة تدرك خطر ذلك. وعمومًا فإن جمجمة الأطفال -من ناحية تشريحية- أرق مما هي عليه لدى الكبار، كما أن محتوى دماغ الطفل من السوائل أكبر، وهذان عاملان يسمحان بمرور موجات وإشعاعات أكثر نحو دماغ الطفل، مما قد يزيد من المخاطر المحتملة.

وتنصح السيدة الحامل أيضًا بتخفيف استعمالها للأجهزة الجوالة؛ فأعضاء الجنين الذي تحمله داخل الرحم حساسة جدًّا للمؤثرات الخارجية، لا سيما الموجات التي تبثها الهواتف الجوالة. كما تحث أيضًا على تقليل استخدام الجوال بعد الولادة أثناء حملها لوليدها؛ فأنسجة جسمه الرخوة تستقبل هي الأخرى مزيدًا من الإشعاعات الضارة. ■

(*) اختصاصي جراحة التجميل بالمدينة المنورة / المملكة العربية السعودية.

hiramagazine.com

د. يحيى وزيري*

مشاهد كونية في مساجد عثمانية

المسجد في العمارة الإسلامية، هو المبنى الرئيس الذي يتعبد فيه المسلمون، ويقيمون الصلاة، ويذكرون الله بالغدو والآصال.. لذلك حظي بناء المسجد في الحضارة الإسلامية بمكانة كبيرة، فكان أول بناء يبنى في الأمصار والمدن المفتوحة، وظل هو النواة التي يلتف ويطوف حولها المعمار في المجتمعات الإسلامية.

واختلفت أشكال المساجد من حضارة وبيئة لأخرى، فكل طراز له سمات انعكست على عناصره المختلفة، وهو ما يمكن ملاحظته بسهوله في اختلاف أشكال المآذن والقباب والزخارف وغيرها.

ولكن يكمن وراء العديد من تلك العناصر والمفردات المعمارية التي احتوتها المساجد، الكثير من الإشارات والرموز التي تحتاج إلى التأمل والتفكير والمعايشة لإدراك معانيها واستجلاء مراميها.

لقد أثارت زياراتي ومشاهداتي للمساجد القديمة في إسطنبول وبورصة وأنقرة -المرة تلو الأخرى-العديد من الأفكار والتساؤلات والتأملات التي كانت تنمو وتتبلور مع الوقت، مما جعلني أستنتج أن المصمم المعماري الذي قام بإبداع تلك المساجد، كان يتعامل معها وكأنها كون مصغر ينعكس فيه العديد من المشاهد الكونية التي عبّر عنها بمفردات معمارية وبتشكيلات زخرفية وفنية، وربما في بعض الأحيان بآيات قرآنية تنقش على حوائط المسجد، ليبث رسالة مباشرة لمن لم يستطع فهم الرسائل الرمزية الأخرى التي تدعو -كذلك- إلى التأمل والتدبر.

دعونا نبدأ تلك الرحلة التدبرية من خلال المشاهد الكونية التي حوتها العديد من المساجد العثمانية:

١- "السماء-القبة"

سار تصميم المساجد الأولى على نهج المسجد النبوي بالمدينة المنورة، حيث كان الفناء المكشوف هو العنصر الأساس الذي أحيط بالظُّلاّت والمجنبات. ثم تطورت وتنوعت طرز المساجد إلى أن ظهر طراز المسجد ذي القبة المسيطرة، وهو ما امتاز به طراز المساجد العثمانية.

والقبة هنا إلى جانب أنها حل وظيفي إنشائي لتغطية أكبر مساحة من قاعة الصلاة بدون أعمدة -اللهم إلا على أطراف القبة نفسها- فإنها من جهة أخرى ترمز إلى قبة السماء التي تعدّ آية من الآيات الكونية الدالة على قدرة الخالق العظيم الذي رفع السماء بغير عمد ترونها.

٢- "الشمس-الثريا"

إن إشارة القبة في عمارة المساجد العثمانية إلى السماء، ربما يؤكده هذا المشهد الذي أثار انتباهي في مسجد السلطان أحمد بإسطنبول وغيره من المساجد الأخرى.

فخلال زياراتي المتعددة لمسجد السلطان أحمد، لفت نظري تصميم الثريات التي تتدلى من سقف القبة بقاعة الصلاة الرئيسة، فأساس تصميمها عبارة عن دائرة متوسطة يخرج منها العديد من الخطوط المتعرجة التي تماثل أشعة الشمس.

وفي مساجد أخرى كـ"المسجد الجديد" (يْنِي جامع)، تأخذ الثريا الرئيسية بقاعة الصلاة الشكلَ الدائري (وربما تتعدد الدوائر)، حيث تتدلى منها المصابيح والقناديل في منظر يوحي إلى مصابيح السماء، فالفكرة والرؤية واحدة، فالثريا إما هي رمز للشمس، أو رمز لمصابيح السماء. هنا تكتمل الرؤية والفكرة، قبة المسجد ترمز إلى السماء، والثريا ترمز إلى الشمس بأشعتها الدافئة الحنونة (أو مصابيح السماء)، وكلها إشارات كونية رمزية تنسج ملامح الفكرة الرئيسية، وتؤكد أن "المسجد كون صغير" أو صورة مصغرة لهذا الكون الرحيب.

٣- "المجموعة الشمسية-المنبر"

فإذا ما انتقلنا سريعًا إلى المسجد الكبير في مدينة بورصة، رأينا مشهدًا كونيًّا آخر، عبّر عنه الفنان والمصمم في هذه المرة على ريشة المنبر الخشبي للمسجد.

فعندما تنظر لهذا المنبر، لأول وهلة يبدو لك كغيره من منابر المساجد المنتشرة في كل مساجد العالم، ولكن بإمعان النظر يتبيّن أنه منبر غير تقليدي؛ حيث على الجانب الشرقي للمنبر، تم التعبير بطريقة مباشرة عن المجموعة الشمسية عبر أنصاف من الكرات البارزة وضعت خلال الأطباق النجمية التي تزين ريشة

hiramagazine.com

المنبر. والإبداع في ذلك يظهر في أن المسافات بينها تحاكي تمامًا المسافات الحقيقية بين الشمس وكواكب المجموعة الشمسية التي تطوف حولها، وبالطبع بمقياس رسم أصغر.

شواهد وأدلة الفكرة ما زالت تتجمع وتتساند لتؤكد الرؤية المطروحة، والتي تتأكد وتتنوع من مسجد لآخر، ومن مدينة لأخرى، أو حتى من زمن لآخر.. إنه إحساس وعلم الفنان والمصمم المسلم الذي تشكلت عقليته نتيجة الرؤية القرآنية التي تحث دائمًا على الأمر بالنظر في الطبيعة، وملكوت السماوات والأرض.

٤- "الطبيعة-الزخارف النباتية"

تنقسم الزخارف الإسلامية بصفة عامة إلى قسمين أساسيين: الزخارف الهندسية، والزخارف النباتية، ويمثلان معًا ما يعرف بمصطلح "الأرابيسك" أو "العربسة".

ولكن يلاحظ أن الزخارف النباتية هي المسيطرة في تزيين عناصر المساجد العثمانية على اختلافها، تلمح ذلك في حوائط المسجد وعقوده وسقفه وقبابه، حتى النوافذ الملونة وربما البسط والسجاجيد، تلمح دائمًا الزخارف النباتية وزهرة "التوليب" المنتشرة في البيئة التركية.

وكأن المعماري التركي يحاول أن ينقل الطبيعة بأشجارها وأزهارها إلى داخل المسجد، فلا يفتقد تلك الطبيعة التي هي خلق وإبداع المولى ﷻ، فيجمع العابد داخل المسجد بين ذكر اللسان وذكر الأبصار من خلال رؤية تلك الزخارف النباتية.

٥- "الظل-السجود"

الظلال هو أحد الظواهر الطبيعية التي أشار إليها القرآن الكريم في العديد من السور والآيات القرآنية، وقد نبهت العديد من تلك الآيات إلى سجود الظلال كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾(النحل:٤٨)، أو كقوله تعالى: ﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلاَلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾(الرعد:١٥).

ومن عجائب ما تم رصده بمسجد ديفريجي الكبير في مدينة سيواس التركية، هو ظهور "ظل إنسان يصلّي" على الباب الغربي للمسجد، يبلغ طوله أربعة أمتار، ويبقى قائمًا حتى انقضاء صلاة العصر ثم يغيب ويختفي.. فمن أين أتت تلك الفكرة المدهشة للمصمم؟ وهل هي تطبيق مباشر لما ورد في القرآن الكريم عن سجود الظلال؟

سواء أكانت تلك الفرضية صحيحة أم لا، فما يهمنا هنا أن نسجل احتواء مدخل المسجد على فكرة التعبير عن الصلاة باستخدام الظل كأحد الظواهر الطبيعية، والتي نبه القرآن الكريم لأهمية تأملها وتتبعها وفهمها.

٦- "الأهلة-الإشارة إلى اتجاه القبلة"

ربما لا تنفرد المساجد العثمانية بهذا المشهد الكوني، ونقصد وضع الأهلّة فوق القباب وأعلى نهايات المآذن مواجهة لمكة المكرمة كي تشير إلى اتجاه القبلة. فاستخدام الأهلة النحاسية أو البرونز وغيره من المعادن، منتشرة تقريبًا في كل المساجد القديمة والحديثة.

ولكن وجود تلك الأهلة، والتي أصبحت رمزًا للإسلام بصفة عامة وللمساجد بصفة خاصة، ربما يؤكد فكر استخدام المشاهد والآيات الكونية في عناصر المساجد بصفة عامة والمساجد العثمانية بصفة خاصة، وهو ما أكدته المشاهد السابقة التي أشرنا إليها.

٧- استخدام الآيات القرآنية

تعتبر كل المشاهد الكونية السابقة والتي استخدمت في عمارة المساجد العثمانية بصفة خاصة، تعبيرًا غير مباشر عن فكرة "المسجد كون صغير"، كما توضح تأثر الفنان والمعماري المصمم بما أورده القرآن الكريم من آيات الآفاق والأنفس وأهمية تدبرها وفهمها.

ولكن يلاحظ أيضًا أنه عادة ما يتم التعبير عن هذا المفهوم بطريقة مباشرة، تتمثل في كتابة بعض الآيات القرآنية، والتي تعبّر عن آية كونية معينة على رقبة القبة الرئيسية من الداخل، كقوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(النور:٣٥) في إشارة إلى أهمية النور بشقيه المعنوي والمادي لحياة الإنسان الروحية والمادية. ونلحظ استخدام هذه الآية في رقبة قبة مسجد السلطان أحمد على سبيل المثال، وهو تقليد انتشر في أغلب المساجد الإسلامية على اختلاف طرزها.

إن ربط القرآن الكريم للعبادة والدعاء والذكر والتسبيح بأوقات معينة كالغداة والعشي كقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(الكهف:٢٨)، أو الصباح والمساء كقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾(الروم:١٧)، أو ربط مواقيت الصلاة بظواهر فلكية معينة كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(الإسراء:٧٨).. كل هذا، كان الهدف منه ربط الإنسان المؤمن العابد الذاكر، بالعديد من الآيات الكونية الدالة على وجود الله وقدرته، مما أرسى مفهوم العبادة بمفهومها الواسع والذي لا يقتصر فقط على الصلاة أو الحج أو الصوم، ليشمل التفكر في ملكوت السماوات والأرض.

إن وجود العديد من المشاهد والإشارات الكونية في المساجد العثمانية أو في غيرها من مساجد الطرز الأخرى، لا يعتبر بذلك شيئًا غريبًا أو مستبعدًا، لأنه في ذلك الوقت والزمن، كانت الأمة الإسلامية مرتبطة بقرآنها وبسنّة نبيها ﷺ ارتباطًا عميقًا، أدى إلى إفراز تلك الرؤية لدى المعماري والفنان المسلم، والتي انعكست بتلقائية وحِرَفية في تصميم العمران الإسلامي وفي صدارته المسجد بيت الله، أو لو شئت فلتقل صورة مصغرة من الكون الكبير، أو هكذا لابد أن يكون وأن نفهم ونعي. ■

(*) كلية الآثار، جامعة القاهرة / مصر.

مراد دومان*

حقيقة حريم السلطان

في مرحلة توطيد أركان الدولة، كان السلاطين العثمانيون يتزوجون ببنات حكام الدول المجاورة أو بنات الأعيان والأشراف، ولكن ما إن حلّت مرحلة الازدهار حتى تغيرت هذه الحالة؛ حيث بدأ السلاطين يكتفون -في غالب الأحيان- بالزواج ببعض جواري القصر فقط، وذلك ليمنعوا التدخّلات السيئة التي يُحتمَل أن يقوم بها الأصهار مستغلين قرابتهم من السلطانة زوجة السلطان. وفي المراحل اللاحقة، بدأ السلطان يعيش مع عائلته داخل القصر في جناحٍ يسمى "حريم السلطان"، الذي أعيدت تنظيم هيكلته من جديد في عهد السلطان محمد الفاتح. وبعد فتح إسطنبول في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، نُقِل حريم السلطان الذي كان في قصر "العتيق" في حيّ "بيازيد"، إلى قصر توب قابي الذي أقام فيه السلاطين العثمانيون زمنًا طويلاً.

لابد أن نشير بدايةً إلى أن حريم السلطان -الذي نُقشت جدرانه ومداخله بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأدعية المأثورة- وُصفت الحياة فيه من قِبل الغربيين بشكل خيالي مجاف للحقيقة. ولكن على الرغم من كل تلك الأوصاف الزائفة، ظل الحريم محافظًا على حرمته وأصالته فلم تتلطخ فيه قدسية العائلة التي هي مهد الأخلاق الإسلامية والأصالة التركية، لأن السلاطين حرصوا أشد الحرص على أن يضعوا حواجز بينهم وبين سكّان الحريم، ويتعاملوا معهم ضمن قواعد صارمة ومعايير منضبطة.

ومما يجب لفت الانتباه إليه أيضًا، هو أن التاريخ سجل الكثير من مكائد النساء في القصور الأوربية، ولكن لا نرى -في المقابل- إلا القليل من قبيل هذه الأحداث في قصور الدولة العثمانية؛ من مثل ما وقع في أيام السلطانة من الجواري "هُرَّم" زوجة السلطان سليمان القانوني، وأيام السلطانة "نور بانو" و"صفيّة" و"كُوسَم". ولا شك أن أهم سبب أدى إلى هذه التدخّلات من قِبل النساء العثمانيات، هو جلوس جل السلاطين على سدة الحكم في سن الصِّغَر، وذلك منذ عهد السلطان أحمد الأول وطيلة معظم القرن السابع عشر الميلادي.. أدى هذا الأمر إلى صعوبة السيطرة على الدولة، ومن ثم إلى غياب السلطة في التنظيم، كما أثّر -بطبيعة الحال- على مؤسسة الحريم تأثيرًا سلبيًّا؛ حيث بدأت أمهات السلاطين بالتدخل في شؤون الدولة وفرض نفوذهن على الحكم بشكل لم يكن له مثيل سابق في الدولة العثمانية. استمر هذا الوضع حتى عهد السلطان محمد الرابع الذي تربع على العرش في السابعة من العمر، حيث قامت والدته السلطانة "خديجة تورهان" بمساعدة وتوجيه ابنها السلطان في النصف الأول من حكمه، ثم تركته ليحكم البلاد بنفسه، وراحت هي تنشغل بتربية نساء الحريم وترسيخ فكرة

عـدم تدخـل النسـاء في شـؤون الدولـة والسياسـة.. وقد استمرت هـذه التربيـة المحمودة حتى نهايـة عهد الدولة العثمانيـة. ولابـد أن ننـوه هنـا، أن تدخُّـل بعـض أمهـات السلاطين في الحكم، كان خوفًا منهن على زوال الدولة العليـة، فذلـك أدى إلـى تدعيـم أركان الدولـة فـي وقت الضعف. فمثلاً، توجيهات السـلطانة "كوسم" والسلطانة "تورهـان" التـي أبدينهـا فـي الشـؤون الإداريـة، ربما كان دليـلاً علـى أنهمـا تمتلـكان المعرفـة الكافيـة للتمييز بين الخطأ والصواب فيما يخص الإدارة. يسـكن في الحريم أهلُ السـلطان مـع الخدّام من الجواري.. أما مَن يمتلك السـلطة والصلاحيـات التامـة داخـل جنـاح الحريم فهي والـدة السـلطان. وأمـا المشـرف علـى الخـدَم والعمـال نسـاء ورجـالاً، فهـو شـخص يسـمى "آغـا الحريـم".

إن مـن أهـم المسـائل التـي يـدور النقـاش حولها في هذه الأيام عن الحريم والتي تم تفسيرها خطأً، هي مسألة الجـواري.. مـن المعلـوم أن الجـواري هـن مـن أسـرى الحـروب، ومـن المعلـوم أيضًـا أن الإسـلام أمر بحُسـن معاملة الأسـرى والرفق بهـم، وعدم إيذائهم أو التعرُّض لما يجرح كرامتهم.. فعلى هذا الأسـاس سـارت الدولة العثمانية وتعاملت مـع الأسـرى برفق، وسعت إلى تربية النسـاء منهـم تربيـة إسـلامية، وبذلـت الجهـود لهدايتهن إلـى الإسـلام، ثـم مـن بعـد استئناسـهن بالإسـلام قامت بإطلاقهن أحرارًا.. نعم، هذا ما كان يوصي به العلماء في مؤسسـة الحريم، وهذا ما كان يفعَّل على أرض الواقـع. ولا شـك أن هـذه القيـم الإسـلامية التـي نفّذتهـا الدولـة العثمانية، أقامت لها حضارة راقية لا نظير لها في مسرح التاريـخ.. وليـس بغريـب أن تُخـرِّج هـذه الحضـارة مـن جـواري الحريـم؛ "السـلطانة الوالدة" أي والدة السـلطان التـي تعنـي "First Lady" (السـيدة الأولـى) فـي أيامنا هذه.

الحريم مدرسة قيم وأخلاق

إن الوظيفة الأساسية التي يتقلّدها الحريم، كانت تتجلى في كونها مؤسسة تعليم تطبيقي تسعى إلى تربية الجواري اللواتـي سـيَقُمن بخدمة القصر. كانت الجـواري يتعرّفن فـي الحريم على الأخلاق الإسـلامية السـامية، ويتعلّمن القراءة والكتابة، ثم يتلقّين العلوم الدينية والاجتماعية من جانـب، ومـن جانب آخر يتعلّمن كيفية التعامل مـع أهل القصر والأدب في الحديث والمعاملة.. ووفقًا للقابليات والمواهـب، كـنّ يتعلّمـن كذلك فـن الموسـيقى أو مهنة الخياطـة أو مهنـة التطريـز وغيرهـا من المهـن.. ومن ثم كان يتـم توظيفهـن في القصر وفقًـا لاختصاصهن.. وأما المتفوّقات منهن، كنّ يرتقين إلى مرتبة "نائب المشرف"، ومن ثم يتم تعيينهن إما إلى دائرة السلطان أو دائرة والدة السلطان، وإما إلى دائرة زوجة السلطان أو دائرة فرد من أهلـه.. وأمـا الماهرات الذكيات منهـن، كان يتم ترقيتهن درجـة درجـة مـن خـلال تقييم أدائهـن، وفـي نهاية الأمر يُلقَّبْن بـ"المعلّمة" ليقمن بخدمة السـلطان مباشـرة. ولعل

هـذا النظـام دليـل علـى أن ترقية الجـواري كانت تتحقق وفقًا للكفاءات، وليس وفقًا للشكل والجمال كما يزعم الكثير من الناس. بل الجارية المتفوّقة في التعليم، الكاتبة القارئـة جيدًا، صاحبـة الكلام الطيب والمؤدب، هي مَن كانـت تسـتحق الترقيـة. ولابـد أن نلفت الانتبـاه هنا إلى أن نظـام الحريم هذا، كان شـبيهًا جـدًّا بنظام "الأندرون" الـذي ينشـئ رجـالاً أكفّـاء موثوقيـن قادريـن علـى تقلُّـد المناصـب الإداريـة المهمة فـي أجهزة الدولـة العثمانية.

كانـت بعـض الجـواري تُحـرَّر ويتـم تسـريحها مـن الحريـم؛ حيـث يُعَـدُّ جَهازها ويقـدَّم لها وثيقة التسـريح لتتـزوَّج برجـل "أندرونـي" تَربّـى وتعلّـم ونشـأ -مثلهـا- فـي القصـر السـلطاني. كان السـلطان بنفسـه يهتم بزواج الأندرونييـن مـع جـواري الحريـم، حيـث كانـت هـذه المبـادرة مـن السـلطان، تعزز ثقة الأندرني بـه وتزيد من صدقه ووفائه تجاه دولته. ولا شك أن هذا الأمر يبين لنا مدى قوة المركزية وعمق جذورها لدى الدولة العثمانية. كان يطلـق علـى الجـواري المسـرَّحات من القصر اسـم "أهل القصور". هذا وقد كان القصر السلطاني يخصص الرواتب وكل التسهيلات، للواتي لم تتيسّر أمور حياتهن خـارج القصـر، أو للواتي ترمَّلْن.. أمـا اللواتي لم يرغبن فـي مغـادرة القصـر، كن ينلـن الحمايـة الكاملـة والحياة الكريمة في الحريم طيلة حياتهن.

الحريم جامعة حصينة

تـم تربيـة المئـات مـن الجواري فـي الحريم خـلال فترة الازدهـار، بيـد أن نسـبة ٩٠٪ منهـن كـن يعملـن كخادمات.. أما المتفوّقات من بيـن هذه الجـواري فكانت تعمـل في خدمة الحريم وأهل السـلطان فقـط مقابـل راتـب مخصـص لهـن، كمـا لـم يكن لهن أية صلة مـع السـلطان أبدًا، إنما كان السـلطان يهتم فقـط ببعـض الجـواري المتعلِّمات الذكيـات المتفوّقات اللواتـي تـم اختيارهـن مـن قبـل والـدة السـلطان أو المشرف، ولم يكن يعلم شيئًا عن غيرهن ولم يكن يرى من الأخريات واحدة.

إن التخطيـط المعمـاري للحريـم تـم تصميمـه علـى شـكل جامعة حصينة لا تسمح بالدخول العشوائي إليها حتـى للسـلطان.. ولعـل هـذا الأمـر، يكفـي لأن يُضحـد كل الادعاءات التي تقول بأن السـلطان كان يقوم بصفّ مئات الجواري ويختار منهن من يريد. لقد كان للحريم تخطيـط معمـاري خـاص يمنـع رؤيـة ما يجـري داخله، ويمنح لسكانه الحرية التامة في ممارسة الحياة اليومية.

اسـتمرارية الذُرّيـة بالنسـبة لآل عثمان كان أمرًا مهمًّا للغايـة.. ومـع ذلـك كان يُتوفَّـى بعـض أوليـاء العهد في سـنّ مبكّـر بسـبب أو بآخـر، أو لـم تكـن تنجـب بعـض الجـواري الأولاد، أو تلـد بعضهـا الآخـر للسـلطان إناثًـا فقـط.. كل هـذه الأمور، كانت من ضمن الأسـباب التي دفعت السـلاطين العثمانييـن إلى الزواج المتعدد. ولابد أن نشـير في هذا المقام، إلى أن كل زوجات السـلاطين العثمانيين -أحرارًا وجَوارٍ- كانت سواسية أمام السلطان وأمـام الشـرع والقانـون. بمعنـى أدق؛ كان كل ما يجري فـي الحريـم عبـارة عـن حياة شـريفة ومنضبطـة تحكمها الشريعة الإسلامية.

والجديـر بالذكـر أن أغلـب المعلومـات التـي دارت حـول الحيـاة اليوميـة فـي مؤسسـة "الحريـم"، تعـود إلى القـرن التاسـع عشـر الميـلادي، أي إلـى الفتـرة التي بدأ النفـوذ الغربـي يتوغـل في القصر العثماني ولا سـيما في الحريم منـه.. وهذا دفـع المؤرخين إلـى تعميـم مـا كتبـوه عـن حيـاة القصـر فـي القرن التاسـع عشـر، علـى مراحـل الازدهـار

hiramagazine.com

أيضًا، وهذا بطبيعة الحال جاء بتقييمات خاطئة خيالية لا تمت إلى الحقيقة بصلة. أما الحقيقة التي لا تتغير، فهي أن كل خطوة تخطى في الحريم، كانت مقيدة بأنظمة منضبطة وقوانين صارمة لا تسمح أبدًا بالإفراط في الترف والبذخ. بل إن حفلات تلك الأيام التي كانت تقام في الحديقة الخاصة في حريم قصر توب قابي، كانت منضبطة بقواعد أخلاقية، وكان المحتفلون ملزمين بتطبيق هذه القواعد الأخلاقية بحذافيرها. وقد استمرت هذه العادة المحمودة بعد انتقال السلاطين العثمانيين إلى قصر "دولمه باهشه" و"تشيراغان" و"يلديز" وقصر "بشكتاش" حتى في الأعراس، والأعياد، والمناسبات الدينية وغيرها من الاحتفالات أيضًا، وظلت مستمرة على هذه الوتيرة حتى نهاية عهد الدولة العثمانية.

يمكن أن نجد كل ما ذُكر آنفًا، في الكتب والذكريات التي دوّنتها بعض السلطانات في أواخر العهد العثماني، ويمكن كذلك أن نجده في كتب الباحثين المنصفين والموضوعيين الذين درسوا الحريم العثماني دراسة دقيقة.. ولعلنا إذا انتبهنا إلى الآيات القرآنية المنقوشة على جدران قاعة الاستراحة للسلطان والتي تتعلق بالحياة الأسرية والتربية والأخلاقية، نتيقّن أن ما كُتب عن الحريم من قِبل الغربيين مناف للحقيقة تمامًا.

إذن، إن الحريم العثماني -بعكس ما وُصف- مدرسة أصيلة تقوم على المبادئ والقيم الإسلامية؛ من أخلاق وتعليم وسلوك وأدب ومعاملة.. هذه المدرسة استطاعت أن تحافظ على هويتها الأصيلة ومنهجها المصبوغ بصبغة الإسلام ستة قرون.. لذا، يجب أن يُتناوَل الحديث حول الحياة في الحريم العثماني باحترام وبدون المساس بحرمته وكرامته، وبالتالي نَقْل الصورة الحقيقية له دون التوغل في الفانتزيات والتحريف. واجب علينا أن نشعر بالمسؤولية تجاه تاريخنا، ونوفي حق أجدادنا الأوفياء الذين ضحّوا بكل غالٍ ونفيس دون تردد من أجل الرسالة العالمية الإنسانية السمحاء.. لابد أن نعرف أجدادنا بحق، ونعرِّفهم إلى العالم بأجمل الصور والأشكال. ■

(*) كاتب وباحث تركي. الترجمة عن التركية: ماهر جلقمة.

حراء
مجلة علمية فكرية ثقافية
www.hiramagazine.com

إذا دام الربيع

بين الزهرات زهرتان؛
بالحبور مفْعمتان،
ناضرتان ريّانتان،
للخلود مرصودتان...
إنْ لم تعصف العواصف،
وتقصف القواصف،
فالربيع سيدوم،
والموتى من جديد سيُبعثون...

* * *

مرازي زهرة*

مرضاة الخالق غايتك.. طهِّرْ ساحة قلْبِك وحصّنها من أن يدخلها مَن هو من غير أهلها، وإلا تزاحمت على الأبواب عشرات الأصنام وظهر الباطل بلَبوس الحق.. وبلباس الفكر تلبّسَتْ الأهواء والشهوات، وباسم الجهاد اقتُرفتْ الجرائم وارتُكبت الحماقات.

الموازين

سرطان الثدي
خطر قد تمنعه الرضاعة

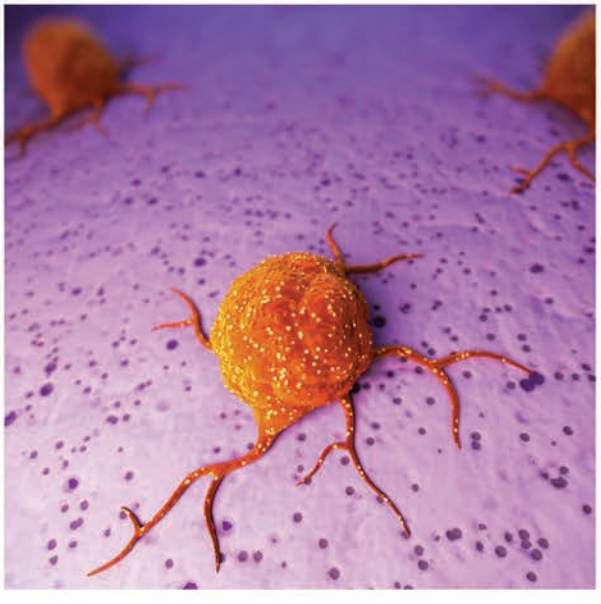

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(لقمان:١٤). أثبتت الدراسات حجم المعاناة الحقيقية للمرأة أثناء الحمل والوضع من إرهاق الجملة العضلية والعظام. وإذا ما وضعت الأمّ مولودها تقوم أولاً بتغذيته عن طريق الرضاعة الطبيعية التي لا تفتأ الدراسات تؤكد أهميتها بالنسبة للمولود؛ من تزويده بالعناصر الضرورية لبناء جسمه من عظام وعضلات، بالإضافة إلى وقايته من مختلف الأمراض والتشوهات. ولكن أثر الرضاعة الطبيعية على الأمّ لا يزال موضع جدل بين الباحثين، فمنهم من يؤكد الأثر السلبي لهذه

الرضاعة الطبيعية من حيث تعرض المرأة لمجموعة من المضاعفات؛ من فقر الدّم، ونقص العناصر المعدنية وخصوصًا الكالسيوم، مما ينتج عنه مرض تَرقُّق العظام (Oestéoporose) عند التقدّم في السنّ، حتى إن بعضهم ربط خطر الإصابة بسرطان الثدي، بالرضاعة المتكررة للأمّ. ثم جاءت مؤخرًا بعض البحوث لتؤكد أن قيام المرأة بدورها الطبيعي من حمل وإرضاع، هو بمثابة لقاح ضدّ الإصابة بسرطان الغدّة اللّبنية. فهل فعلاً للرضاعة هذا الدور المصيري؟

أجريت دراسة ميدانية في الجزائر، كان حجم العينة فيها ١١٤ حالة ذات تشخيص مؤكد لسرطان الغدّة اللّبنية، تخضع لمختلف العلاجات، وذلك بالمستشفى الجامعي لولاية سيدي بلعباس.

قُسِّمتْ العينة المتكونة من ١١٤ مريضة، على مجالات عمرية مختلفة تتراوح ما بين العقد الثاني والعقد الثامن، بحيث يمثل المجال العمري بين ٤٠-٥٩ سنة، نسبةَ ٧٠٪ من العينة المدروسة. علمًا بأن هذا السنّ هو أول عامل خطير يسبب الإصابة بسرطان الثدي، لذا يلزم على المرأة إجراء الفحوصات الدورية لاكتشاف المرض في أول مراحله. وهذه النتيجة بيّنت أن خطر الإصابة يزداد عند بلوغ المرأة سنّ اليأس.

بعد ذلك تم تصنيف المريضات وفق عمر بداية الإنجاب أو ما يدعى (Parité)، مما جاء بنتيجةٍ هي أن أكثر من ٣٥٪ من المريضات أنجبن لأول مرة بعد الثلاثين من العمر، مما يتيح لنا فرصة المقارنة بين ما وصلنا إليه وما أثبتته الدراسات التي بيّنت أن إنجاب الطفل الأول قبل الثلاثين من العمر، يقلل من خطر الإصابة بسرطان الثدي نسبة ٢٥٪، في حين يزيد الخطر بنفس النسبة (٢٥٪) عند النساء اللائي لم يسبق لهن الإنجاب.

أهم مقياس تم الاعتماد عليه في مساءلة المريضات هو الرضاعة الطبيعية، وذلك بهدف معرفة تأثير هذه الرضاعة على السرطان أو منعه، باعتبارها الوظيفة الأساسية للثدي. كانت النتيجة مفاجئة؛ حيث قامت حوالي ٦١٪ من المريضات بالإرضاع بعد إنجاب أبنائهن، لأن تقاليد المجتمع الجزائري لا تزال تفرض على المرأة إرضاع المولود في شهوره الأولى مع أو بدون الرضاعة الاصطناعية. ولكن المفارقة العجيبة تكمن في مدة الإرضاع التي ذكرها القرآن الكريم، وحددها بحولين كاملين لمن أراد إكمال الرضاعة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾(البقرة:٢٣٣). بينت النتائج أن النساء اللائي يرضعن أولادهن أقل من ستة أشهر، يتعرّضن لنفس نسبة خطر الإصابة بسرطان الثدي عند النساء اللائي لم يسبق لهن الإرضاع، إلا أن خطر الإصابة بسرطان الثدي ينخفض كلما ازدادت المدة عن الستة أشهر.

ينمو الثدي عند المرأة عند بداية بلوغها وهو من الصفات الأنثوية، وبالتالي يتكون الثدي المكتمل من نسيجين اثنين، هما النسيج الغدّي الذي يمثل الغدّة اللّبنية، والنسيج الشحمي الذي يعطي للثدي شكله وحجمه.

يتكون النسيج الغدّي من مسالك ناقلة للّبن تبدأ من تجويف محاط بخلايا مفرزة، حيث يتجمّع الحليب في هذه التجاويف، ثم يتم تحويله عبر المسالك مباشرة إلى الحلمة. يتم إفراز الحليب اعتمادًا على التنبيه الممارس على الحلمة من قِبل المولود بعملية الرضاعة، مما يجعل الخلايا اللّبنية تستنفر لتوفير أكبر كمية من الغذاء.

إن عمل الغدّة اللبنية لا يتحقق إلا أثناء الولادة والرضاعة، أما في معظم الأوقات من حياة المرأة، تبقى هذه الغدّة في حالة سكون، ولكن هذا لا يمنع من تأثّرها بالتغيرات الهرمونية خلال الدّورة الجنسية، إذ تتلقى إفرازات دورية من هرموني الأستروجين والبروجسترون اللذين يؤديان إلى نشاط مؤقت يتبعه عودة للخمول. كما أن ارتفاع نسبة الهرمونات الأنثوية في الدّم، يؤدي إلى انقسام متتال للخلايا الغدّية تتحوّل بعد ذلك إلى سرطان، بينما في حالة الإرضاع لمدة كافية، تظل الغدّة تعمل بنشاط، مما يكون سببًا في إضعاف انقسام الخلايا المرضية وانخفاض لكمية الهرمونات الأنثوية في بلازما الدّم. ■

(*) كاتبة وباحثة جزائرية.

hiramagazine.com

مرام البار*

الحب عطاء

في بقعة من الأرض جوادة بالخير والبركات، حيث تتمتم شفاه السماء بالرحمة، وتشعّ عيونها الزرقاء بالسلام، وحيث العصافير متكئة على أذرع الأشجار تُرسِل زغاريدها وترانيمها وبهجتها للحياة.. وقفت الأم ترقب ابنها وهو يلهو حولها بطائرته الورقية الملونة.

رمقته بعينين تفيضان أملاً بأن يكون غد الأمة به أجمل، وأن يمتد نمو غرستها في الاتجاه الصحيح تمامًا نحو الشمس.. تريده مهندسًا للروح، طبيبًا للقلب، وبطلاً عظيمًا في دنيا الأخلاق. وبينما تنسكب الآمال الوردية على قلب الأمومة التوّاق، تدفقت نسمة ناعسة مشبّعة بأنفاس الزهر على وجهها الحالم، فتنفست بعمق حتى لكأنها تحتسي الهواء وهي تنكّس عينيها استرواحًا.. ولكن أفاقها من شرودها صوت بكاء مفاجئ لفتاة صغيرة تعدو باندفاع غاضب صوب أفراد أسرتها وهي تتوعد فتى الطائرة الورقية وتهدده بأن تشكوه لوالدها.

سارت أم الفتى توًّا إلى ابنها لتستفسر منه عن سبب بكاء الطفلة، فأخبرها بأنها طلبت منه طائرته الورقية لتلعب بها، لكنه رفض منحها الطائرة دون مقابل.

أصغت الأم لحديث ابنها باهتمام.. التفتت إليه بعينين طافحتين رقة وحنوًّا، وقالت والابتسامة الوديعة تكسو محيّاها: "إيهٍ بُنيّ، يا أملي الأخضر، هات يدك وتعال نتمشّى يدًا بيد وجنبًا إلى جنب، كم أشتاق أن نحلق معًا على بساط التأمل السحري، نتتلمذ سوية في مدرسة الطبيعة.. هيّا.. تعال راقب معي هذي الأزهار وخبّرني بمَ توشوش لآذان قلبك الصغير".

أجاب الفتى ببراءة: "لا شيء أسمع يا أمي".. قالت الأم برفق: "أما أنا فأسمعها تقول إنها تحبنا كثيرًا، ولذلك تقدّم لنا قلوبها العطرة مجانًا ودون مقابل، عربونًا لمحبتها.

إيهٍ يا ملاكي الصغير، هلمّ بنا نتعلم من حكيم الدروس الزرقاء، ذاك الكريم المُسمّى بالبحر.. لله ما أسخاه.. يعيش في أحشائه الدولفين والقرش فيتسع قلبه للإثنين على السواء.. يمخر أفلاكه المؤمن والكافر فلا ينحني مرحِّبا بهذا ولا يعبس بوجه ذاك.. يحمل سلاطين الناس كعبيدهم، وأحياءهم كأمواتهم، ويأكل من راحتيه الزرقاء؛ الإنسان والحيوان والنبات بلا فرق ولا حساب.. أفلا سألته يا صغيري عن دستوره في الحب والعطاء"؟ أصغى الابن إلى حديث أمه فاغرًا فاه، محملقًا في عينيها السوداويتين بدهشة البراءة، متفكرًا في عذوبة منطقها الجميل، وشلالُ الحيرة ينسكب من عينيه الصغيرتين.

تابعت الأم الحكيمة حديثها العذب وهي تنظر في محبوبها بعينين محمومتين، وتشدّ على كلتا يديه قائلة: "أوّاه يا طائري الصغير، ما بال هذي الأرض تؤرجح بلطف وحنان جميع عيالها بين ذراعيها دون انتظار مقابل؟ لِمَ تعتني بكل أبنائها دون تمييز؟ إنها ترضع الذئب والخروف، والنحلة والذبابة، والنخلة والحنظلة، والطود والحصاة، والغني والفقير، والأبيض والأسود، والعالِم والجاهل، دون تذمر ولا تقصير.

أما بناتها الأشجار، فما أشبههن بأمهن الأرض؛ لهف قلبي عليهن فاتنات الحُسن، أميرات الجمال.. إنهن يملأن أياديهن بالثمار، ويقدمنها بسخاء غذاء شهيًّا للأحياء، في حين يكتفين بالتراب طعامًا لهن.. ألا ما أجمل الأرض، ثم ما أجمل ما تحمل فوق ظهرها من وعظ وتقى".

كان الابن يحتضن وجه أمه بعينيه حرصًا على أن لا يفوته شيء من تعابير وجهها المُلهِم وتفاصيل حديثها المترع بالشهد، إن لكلماتها سلطانًا عظيمًا على فطرته السليمة. وقد لاحظت الأم بفطنتها خشوع بطلها الواعد، فراحت تسترسل في العزف على قيثارة الفكر والتأمل وهي تغذي السير باتجاه بائع العصير لشراء بعض المرطبات. وما إن جلسا على مقعد الحديقة وارتشفا بضع قطرات من عصير الفراولة، حتى أسدلت الأم أجفانها، وبابتسامة ساخنة وعاطفة متدفقة تابعت البوح الجميل: "لله ما أعذبه من شعور! أحسست يا فلذة كبدي وأنا أشرب هذه القطرات، بأني أدخلت الحياة بأسرها إلى جوفي، فكل ما في مصنع الحياة قد تعاون لإعداد هذا الكوب الصغير من عصير الفراولة، الأيادي التي بذرت، والتربة التي احتضنت، والسحب التي أمطرت فأنبتت، والريح التي ساقت السحاب لسُقيا الأرض، بل إن هذا الغمام المحمّل بالطهر والبركة والعذوبة، ما هو في الحقيقة إلا ثمرة قران أشعّة الشمس اللافحة بمياه البحر المالحة. إنه الابن الشرعي للشمس والبحر، لذا كان سخيًّا كريمًا معطاء كوالديه.

إنها لعمري مدرسة عظيمة، وعائلة كريمة، ومستودع عجيب، هذه الحياة المغلفة بالأسرار والمعجزات. إنما أنا وأنت -يا ضيائي- نشرب الآن نتاج المسكونة بأكملها؛ سواعد بشرية زرعت وحصدت وعصرت، وسواعد كائنات ساهمت في تلقيح النبات، وسواعد تربة وسواعد سحب وسواعد ريح وسواعد شمس".

ارتعشت شفتي الفتى واخضلّت عيناه من شدة التأثر فصاح منفعلاً: "أمّاه! رويدكِ.. رفقًا بقلبي الصغير.. فلقد تنفستُ هذا اليوم حتى تشبّعتْ رئتاي جمالاً وعطرًا.. بوركتِ من أم مؤمنة حكيمة في كلماتها الشفاءُ والعافية.. كم صالحتيني مع نفسي ومع الطبيعة.. أثريْتِ روحي يا أمي، فداكِ روحي".

تهللت أسارير الأم من تفجّر الرجولة المبكرة في كلمات بطلها الصغير، فقبّلته بين عينيه بحنان وهي تردد: "بل فداك أمك يا روحها". أمّا هو فما تمالك نفسه بعد درس الجمال، فحمل طائرته الورقية وانطلق مسرعًا صوب الطفلة الحزينة يقدم لها الطائرة بسخاء نفس وطيب خاطر.. شكرته الطفلة وعائلتها، ووعدوه أن يعيدوا له طائرته قبل ما يغادروا المكان، إلا أنه أصرّ على أن تحتفظ الصغيرة بها وتعتبرها هدية من صديق يحلم بأن يصير من عظماء الغد.. تمامًا كأستاذته الطبيعة وعائلتها الكونية البديعة. ■

(*) أديبة إماراتية.

hiramagazine.com

د. مريم آيت أحمد*

على قدر ما تعطي من قلبك تكن منزلتك عند خلاّق القلوب. أما منزلتك عند الناس ففي مرآة تصرفك معهم تجدها، خالطْ الناسَ كأنك واحدٌ من سوادهم، وليكن نظرك دائمًا بالحق معلقًا، وإليه ناظرًا، ولمرضاته مبتغيًا.

الموازين

العنف
مسبباته ودوافعه

لقد عُني علماء النفس الاجتماعي منذ أمد بعيد، بقضية الأسباب الكامنة وراء "العدوان" بين الناس (أو العدوان البين الشخصي Interpersonal Aggression). ويدور الجدل منذ سنين حول دور الوراثة مقارنة بدور البيئة في العدوان، وفيما إذا كان السلوك العدواني لدى البشر يتحدد بيولوجيًا، أم أنه ينشأ عن التعلم ويتأثر بمؤثرات بيئية. فثمة اتجاه يرى الكائن الآدمي "مسالمًا" في طبيعة تركيبه، كل ما في الأمر أن "البيئة" -بما فيها من "ثقافة" منحرفة- هي التي تنمّي لديه نزعة العدوان.

وثمة اتجاه ثان يرى الكائن الآدمي "صفحة بيضاء" من الممكن أن تحوّلها "التنشئة" إلى "مسالم أو عدواني".

واتجاه ثالث يرى أن "الإحباط" هو السبب في إنماء النزعة "العدوانية"؛ فما دامت حاجات الإنسان لم "تشبع" بشكل يحقق توازنه الداخلي، فإنه مضطر إلى أن يستجيب للظواهر استجابة "عدوانية" ما دامت تقف حائلاً دون الإشباع.

ويواكب هذا الاتجاه، اتجاه لا يقصر الأمر على الإحباط أو عدمه أو درجته وصلة ذلك بالعدوان، بل يجد -أساسًا- أن عجز الإنسان عن إشباع حاجته في التخلص من حالة "الإحباط"، يضطره إلى العدوان بصفته استجابة حتمية للإحباط. على أن أشد الاتجاهات مفارقة، هو الاتجاه الذاهب إلى أن العدوان يمثل حاجة أو دافعًا فطريًّا يرثه الكائن الآدمي بـ"الفعل". وهذا يعني أن الإنسان يعيش في عالم متغير، ويسيطر على سلوكياته من خلال أفعاله ومن خلال تعرفه بمحيطه، وهو قابل بصورة إيجابية للتغيرات المذهلة، بحيث يكتسب الإنسان قوة خارقة تؤهله لممارسة عنف يفوق

عنف كل حيوانات الطبيعة والبحار. وتتجلى هذه القدرة بصورة فردية وجماعية عبر التاريخ البشري الذي هو في جانب منه سلسلة جرائم ومحاولات لتفجير الكرة الأرضية وإفناء الإنسان نهائيًا، كما يكتسب قوة خارقة لإعادة بناء ما دمرته الحرب في الطبيعة والإنسان نفسه. وهكذا يلبث يدور بين ثنائية الخير والشر، الدمار والعمار؛ الشر المتمثل بالجانب الأبرز منه في الحروب الفردية والجماعية، العالمية والإقليمية، السيكولوجية والميتافيزيقية، والخير المتمثل في صناعة كل وسائل البناء.

أما التصور الإسلامي للظاهرة، فإنه من الوضوح بمكان كبير أن الكائن يرث بـ"القوة" مبادئ "الشهوة والعقل" أو "الذات والموضوع" أو "الخير والشر"، وإلى أن عملية "التأجيل" التي يمارسها في بحثه عن اللذة هي التي تترجم "القوة" إلى "فعل" إيجابي هو "المسالمة"، وعدمه (أي عدم التأجيل) هو الذي يترجم "القوة" إلى "فعل" سلبي هو "العدوان".

وبإمكاننا أن نتعرف على هذه الحقيقة إذا أدركنا أن إيذاء الآخرين هو المظهر الأشد بروزًا لكل سلوك "شهوي". فالممارسات "الشهوية" الفردية مثل الشراهة في الطعام، أو المال، أو الجنس، أو اللهو... إلخ، إنما تعكس آثارها على "الذات" الشخصية دون أن تمتد إلى إيذاء الآخرين. أما الممارسات الشهوية المرتبطة بالآخرين، فإن انعكاسها عليهم يظل أمرًا من الوضوح بمكان كبير. فالقتل، أو التجريح، أو السب، أو الإهانة، بل والحقد على الآخرين بعامة والحسد، تظل أنماطًا "عدوانية" أشد بروزًا من الأنماط الأخرى المتصلة بالبحث عن "التفوق" أو "الاستطلاع"... إلخ.

جذور العنف

يرى الدارسون أن العنف ظاهرة لها جذور سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية، وهي ترتبط -مثلها مثل أي ظاهرة أخرى- بالعديد من العوامل المتداخلة والمتشابكة مع بعضها البعض. وبدون قراءة صحيحة لهذه العوامل، ستبقى كل المعالجات قاصرة ولا تمثل حلولاً ناجعة لها، ومهما تم من تغطية أمنية مكثفة -على أهميتها- فإنها ستبقى دون تحقيق النتائج المطلوبة

إن الجيل الحالي يفتقد العمق الثقافي بعد أن فشلت المؤسسة الأسرية والتربوية والتعليمية في دورها التوجيهي والترشيدي وأصبح التليفزيون والإنترنت هو الموجه والمربي.

حراء

للمعالجة، ذلك أن الإجراءات الأمنية تحاول منع العنف المدفوع بالكثير من العوامل. ولما كان العنف سلوكًا، فإنه يحتاج لضمان تواصله واستمراريته، طاقةً تكمن في دوافعه. ومن ثم فإن أي تعامل مع ظاهرة العنف لا يأخذ بعين الاعتبار عوامله الأساسية، سيكون تعاملاً مُجتزَأً لا يؤدي العلاجَ المطلوب، وربما أطال عمر الفيروس الحامل لممانعة المودة وجذره.

فلم يكن الإنسان عنيفًا يوم ولدته أمه، بل إن عنف الطبيعة وعسر الحياة والتربية وعنف الآباء، هو الذي يغرز العنف في خلايا الدماغ حتى حملته صبغياته الوراثية فكاد أن يكون موروثًا.

وهنا تظهر أهمية دروس التربية لتعريف النشء بالمبادئ الإنسانية النبيلة التي تحث على الود والتواصل، والعدالة والأخوة، والتفتح على الرأي الآخر، وعدم نصب العداء للمعتقدات الأخرى.. وبذلك نصون المراهقين والشباب، ونحصنهم ضد المفاهيم المتطرفة -التي تزرع الكراهية لكل من يخالفنا الرأي والمعتقد- وبذور الفتنة والقسوة والعنف. ويرى الباحثون في هذا المجال أن أسباب هذه الظاهرة عديدة نلخصها في الأنواع الآتية:

الأسباب التربوية

قد تحدث بعض المشكلات التي تسبب ضررًا نفسيًّا أو ماديًّا على أفراد المجتمع، أو جماعة محددة منه، فيتولد من خلال ذلك شعور بالإحباط، ورغبة في الانتقام عن طريق استخدام العنف. ويعد التفكك الأسري من أبرز تلك المشكلات الاجتماعية، لأن التفكك الأسري يعني انهيار الدور الأساسي للأسرة، الذي من أبرز معالمه التنشئة الاجتماعية السليمة، وتقوية أواصر العلاقات الاجتماعية المهمة. فالأسرة تشكل تلقيح ممانعة ضد

hiramagazine.com

أمراض نفسية فتّاكة تتحول بفعل الزمن إلى ممارسات عدوانية، إذ تعد الأسرة النواة الأساسية للمجتمع، والتي في أحضانها ينعم الطفل بالعناية والرعاية والحب والأمان. فهي الوعاء الطبيعي الذي يحتضن الفرد في طفولته وحتى شبابه، بحيث يتم تزويده إما بالعطف والاحترام فينمو نموًّا سليمًا صحيحًا يتميز بالقدرة على التكيف مع محيطه، أو بالقسوة والإحباط أو التدليل الزائد، مما يعرقل نموه الطبيعي ويخلق لديه مشاعر القلق وعدم الطمأنينة.

فالأسرة كالجسر الذي تعبر عليه خصائص الثقافة لأية أمة إلى أفرادها، في حين أن أساليب المعاملة والتنشئة الأسرية هي تلك العربة التي تسير على هذا الجسر، وتنتقل القيم والاتجاهات والمعتقدات للأفراد. وإضافة إلى سوء المعاملة الأسرية اتجاه الأبناء، فإن المشكلات الأسرية كالطلاق والغياب الطويل للأب عن البيت، والمعاناة الاقتصادية للأسرة، لها علاقة في انحرافات الأبناء الفكرية والسلوكية العدوانية.

الأسباب الاقتصادية

تنتشر في بعض دول العالم اليوم، حالة من انعدام العدالة في توزيع الثروات الاقتصادية، فتظهر فئة أو فئات من المجتمع تنهج سياسة الاحتكار، الأمر الذي يولد العديد من المشكلات الاقتصادية المسببة للأعمال العدوانية بقصد تحقيق غايات اقتصادية، وإشباع حاجات مادية ونفسية، فتفشي البطالة، وتدهور القدرة الشرائية لسوء الأوضاع الاقتصادية. وانخفاض مداخيل الدولة، تجعل نفوس الشباب مرتعًا خصبًا لكل الأفكار المغرية، وعرضة لكل إغراء مادي يستعمل مصيدة لهؤلاء لتوريطهم في أعمال العنف بطعم إخراجهم من وضعيتهم الصعبة، التي تتطلب منهم أحيانًا بيع أعضائهم بأثمنة بخسة، أو القبول بدخول سوق الاتجار بهم في مزاد النخاسة العالمي.

الأسباب الاجتماعية والإحباط النفسي

يترتب عن الأسباب الاقتصادية السالفة الذكر أسباب اجتماعية، إذ بتدهور الاقتصاد تتدهور الأوضاع الاجتماعية، وتفكك الأواصر الأسرية نتيجة استفحال مشكل الأمية والبطالة والفقر والفاقة والتهميش الاجتماعي والمحسوبية والرشوة والفساد الإداري، فيجد الشباب نفسه -في عمر العطاء- يفقد إنسانيته وكرامته، ويحرم من فرص تقديم كفاءاته، ويخنق إبداعه.. فيجد الشباب نفسه في الثلاثين من العمر يعيش مرحلة التقاعد المبكر، لكن من دون شروطه، لا عمل ولا أسرة ولا أطفال ولا استقرار مادي ونفسي.

ومن هنا يتكون الشعور بالتهميش وفقدان الثقة، ويزداد قوة بعد طول انتظار، فتصبح النفوس مهيأة لتقبل أي فكرة تنادي لتغيير الأوضاع -مهما كانت وسائل هذا التغيير- لأن الهدف هو تحطيم الأوضاع التي فرضت عليه العيش في هذه الظروف القاسية وجعلتهم طبقة منبوذة مهمّشة، فتكون الاستجابة تلقائية لدعوة التغيير بالعنف. ومن أهم نظريات علم النفس الاجتماعي، نظرية تفسر السلوك العدواني وتربطه بالإحباط.

ففي حالة اليأس والإحباط من تغيير الواقع، يتعرض الفرد إلى تغيرات سلبية في التفكير والشعور. ففي مجال التفكير، تقل أمام العقل الخيارات والمحاولات والحلول للتغلب على العوائق، أما في جانب الشعور والإحساس، فإن الفرد في حالة اليأس والإحباط، يغلب عليه التشاؤم والشعور بنقص الكفاءة والانهزامية، فينخفض مستوى الروح المعنوية، وينعدم الأمل في المستقبل، وقد يتجه الفرد -بناء على ذلك- إلى التفكير العدواني المنحرف لعلاج المشكلات.

الأسباب الفكرية

تعود الأسباب الفكرية للإرهاب والعنف والتطرف في أغلبها، إلى معاناة العالم الإسلامي اليوم من انقسامات فكرية حادة بين تيارات مختلفة، فمن تيار علماني يدعو إلى بناء الحياة على أساس مفاهيم حداثية دنيوي وغير مرتبط بالأصول الشرعية ولا بالتقاليد والعادات والموروثات الاجتماعية الأصيلة، إلى تيار متعصب منغلق يعارض المدنية الحديثة وكل ما يتصل بالتقدم الحضاري. ومن الأسباب الفكرية الأخرى، تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وضآلة الاهتمام بالتفكير الناقد والحوار البناء من قبل المربين والمؤسسات

hiramagazine.com

التربوية والإعلامية، وسوء الفهم والتفسير الخاطئ لأمور الشرع والدين.. والمشكلة أن الجيل الحالي يفتقد العمق الثقافي بعد أن فشلت المؤسسة الأسرية والتربوية والتعليمية في دورها التوجيهي والترشيدي وأصبح التليفزيون والإنترنت هو الموجه والمربي، فأصبح عند المتلقي استعداد فطري لتقبل كل ما تمليه عليه هذه الوسائل من ألوان الفكر العبثي السطحي التمييعي لمدركاته ومعارفه، أو الفكر الأيديولوجي الموجه لتعبئة وشحن العقول بأفكار متطرفة.

الأسباب السياسية

تقف البواعث السياسية خلف الكثير من العمليات الإرهابية وأعمال العنف التي ترتكب في أنحاء عديدة من بلدان العالم، من بينهما الحصول على حق تقرير المصير لشعب، أو مقاومة الاحتلال، أو تنبيه الرأي العام العالمي إلى مشكلة سياسية أو اجتماعية، أو الاحتجاج على سياسة يتبعها بلد ما، أو الرغبة في إنزال الضرر بمصالح دولة معينة وإرباك وسائل نقله الخارجة، أو الرغبة في إنقاذ حياة بعض المناضلين من الرفاق المعتقلين.

وسائل الإعلام

تلعب وسائل الإعلام دورًا لا يستهان به في تكوين الاتجاهات والأفكار والتطرف، فهي تؤثر بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار عن الأشخاص والأحداث. وتنبع أهمية المؤسسات الإعلامية من أنها أصبحت الصوت المسموع لدى جميع أفراد المجتمع. والأثر الذي تتركه المؤسسات الإعلامية لا يقتصر فقط على ما تبثه خلال ساعات البث، بل يتعدى ذلك إلى ممارسة دور الموجه، حيث تحاول كل جهة غرس قيمها ومفاهيمها وأفكارها ونظرياتها في عقول المتلقين، وصولاً إلى أهداف مبرمجة سلفًا.. وليس غريبًا أن يكون من بين تلك الأهداف، الإضرار ببعض الأنظمة والدول عبر برامج سافرة أو مستترة تسعى إلى تقويض الأمن والأمان والاستقرار الاجتماعي بها.

وتبرز مساهمة وسائل الإعلام في تكوين الانحرافات الفكرية عند الأفراد والجماعات في ما

إن أي تعامل مع ظاهرة العنف لا يأخذ بعين الاعتبار عوامله الأساسية، سيكون تعاملاً مُجتزأً لا يؤدي العلاجَ المطلوب، وربما أطال عمر الفيروس الحامل لممانعة المودة وجذره.

حراء

يظهر في التغطيات الإعلامية لبعض الحوادث الإرهابية التي تقوم بها بعض الجماعات المتطرفة، حيث تقارن وسائل الإعلام بمبالغة مفرطة بين أفراد تلك الجماعات وبقية أفراد المجتمع، وتصوير الدولة والمجتمع في "صورة ملائكية" وإنكار أخطاء أفراد المجتمع وتعظيم أخطاء أفراد الجماعات المعتدية، مما يحدث فكرًا منحرفًا مضادًّا، وفجوة هائلة بين الواقع والمثال، يستغله أصحاب الفكر المنحرف من متطرفين وغيرهم في برنامجهم القائم في الأساس على المقارنة بين مثال خيالي والواقع الموجود، وهي مقارنة تثير الإحباط واليأس والاستفزاز عند بعض الأفراد.

وتنمي بعض وسائل الإعلام مشاعر الكراهية والعدوانية التي تولد بدورها أفكارًا تبرر العنف وتكفر الآخر وتحرض على الانتقام، وذلك عندما تستفز بعض تلك الوسائل المشاعر الدينية للأمة بتجاوز الثوابت العقدية، والاستهانة بالأحكام الفقهية الراسخة، أو تزييف وتحريف النصوص الشرعية لغايات معينة، وكذلك استهداف الأشخاص باتهام النوايا والتهكم والسخرية.

ومن جانب آخر، ساعدت شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) كوسيلة إعلامية عالمية، في نشر الأفكار والأيديولوجيات المتطرفة والمنحرفة، من خلال بروز فقه جديد عبر هذه الشبكة وهو ما يسمى فقه الإنترنت، بما يحتويه من فتاوى فردية مشحونة بالانفعال والكراهية والتحريض على العنف.

ويحدونا الأمل باتجاه أن تتبنى المؤسسات الثقافية والإعلامية الوطنية هذه المسألة، وتقود الحملة الإعلامية والتثقيفية لتأكيد خيار الاعتدال والوسطية في الأمة. ■

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بـ"القنيطرة" / المغرب.

د. ناصر أحمد سنه*

مهندسون في عالم الحيوان

لا شك أن "القُنْدُس" مهندس بارع في عالم الحيوان، ينتمي للقوارض المائية فيشيد -بأسنانه الحادة التي تشبه الإزميل- السدودَ والمساكن من أخشاب الأشجار. يتراوح عرض السد -الذي يقيمه زوج القندس- من متر إلى مائة متر، ثم يبني بيته وسط البركة جاعلاً مدخله تحت سطح الماء لحمايته من الأعداء. ويبلغ طول الأنفاق المؤدية لمسكنه أمتارًا، إذ تؤدي النهاية العليا للنفق إلى غرفة تتسع لإيواء أسرته مغطاة بطبقة من الطين المتماسك الجيّد الصرف لوجود أعواد خشبية بأسفله. إنه يبني مسكنه عبر تكديس الأعواد الخشبية والطين تاركًا فتحة تهوية علوية، ثم يحفر بفمه التربة ليكوّن الأنفاق والغرفة الرئيسية، وقد يكوّن الطين المتساقط من بين الأعواد الخشبية أرضيةَ الغرفة. وعادة ما تحصل القنادس على المواد اللازمة للبناء بإسقاط الأشجار ليلاً، ويمكن قرض جذع شجرة قطرها ٣٠ سم في ليلتين مع العمل الدؤوب. ومن ثم تُفصل الفروع عن الجذع وتُجزَّأ إلى قطع يبلغ طول كل منها قدمًا.

وفي الحفر والتنقيب يبرع "الغرير" الأوربي، وهو من الثدييات البرية اللاحمة التي تقتات على الجرذان والزواحف، وأرجله مزودة بمخالب طويلة تساعده على الحفر والصيد، لذا يعيش في "شبكة" طويلة من الأوجار (الأنفاق)، وحجرات النوم المبطنة بالتبن وأوراق الشجر. وما يرثه من جحور عن آبائه يضيف إليها دهاليز جديدة وبعض الحجرات. وقد يعيش في الجحر نحو ٣٥ حيوانًا، ويبني في الجحر منافذ إضافية لتمكنه من الهروب السريع. وقد عُثر على جحر له ١٧٨ مدخلاً، ويتكون من ٥٠ حجرة، ويربط فيما بينها نظام دهاليز تصل في مجموعها إلى طول ٨٨٠ مترًا، ويهتم بشدة بنظافة جحره، حيث يبني "مراحيض" للتبرز بعيدًا عن الجحر. وهناك شواهد "لدفنه" أفرادًا من عائلته بعد نفوقهم. ويمكن للغُرَير العيش ١٥ عامًا، لكن يكثر اصطياده طمعًا بجلده ووبره الجميل.

وترتبط الحيوانات بمساكنها التي شيدتها أو ولدت ونشأت فيها؛ فلا يبتعد "الأرنب ثلجي القبقاب" لمسافة أكثر من نصف كلم من مكان ميلاده، فإذا طارده ثعلب جرى ليدخل حدود منطقته ومسكنه. وتتنقل الخفافيش إذا أُزعجت من كهف لآخر، ولكنها تعود للعيش في مسكنها الأصلي مرة أخرى.

عمارة الطيور

تخصص الطيور "مساكنها" لوضع البيض ورعاية أفراخها، وتبني الأعشاش على الأشجار أو داخلها، أو في شقوق صخرية أو على سطح الأرض، أو على نباتات عائمة، أو في أماكن أخرى غير معتادة. وعبر فصول العام، ما زالت مثيرة للدهشة هجرةُ الطيور -أكبر المهاجرين في الكائنات الحية- إلى حيث بناء الأعشاش والدفء والغذاء، ثم عودتها أو عودة صغارها بمفردهم إلى موطنهم الأصلي. فخرشَنة القطب الشمالي تتواجد في أقصى شمال أوربا وأمريكا، وتهاجر في الخريف جنوبًا إلى أستراليا وإفريقيا، حيث تبقى حتى فبراير- أبريل، ومن ثم تعود إلى موطنها في رحلة عجيبة، وتبلغ نحو ٣٥,٥٠٠ كلم في السنة الواحدة.

والطيور ثاقبات الأخشاب، والطائر الخياط، وطيور الأكوام والديوك البرية، وطيور السنونو، والرفراف، وعصفور الجنة، وطيور الحب، والطائر الأزرق، وسمان الغابة، وماسك الذباب ذو العرف وغيرهم، بارعون في بناء وإنشاء المساكن بمواصفات "إبداعية جمالية"، ومعايير "تميز وأمان وتأمين"، وحرفية عالية. فثاقبات الأخشاب -مثلاً- تبدع عشها بالنقر في جذوع الأخشاب أو الأعمدة الخشبية، وتبطنها بنشارة الخشب المتساقطة أثناء النقر. كما تعيش البومة والراقون والسنجاب، داخل جذوع الأشجار الجوفاء أو داخل الأشجار العجفاء.

وتنتقي الطيور مواد بناء أعشاشها بكل عناية واعتبار، كما يبرع كل نوع من الطيور -على كثرتها الهائلة- في التعامل معها بدقة واقتدار. فتستخدم الطيور البحرية الأعشاب البحرية الطافية والمقاومة لحركة الأمواج في بناء أعشاشها. أما الطيور التي تعيش في مناطق الأعشاب الطويلة، فتنشئ أعشاشًا عميقة واسعة لتفادي السقوط عند هبوب الرياح. في حين تشيد الطيور الصحراوية أوكارها على قمم الأشجار حيث انخفاض درجة حرارتها بنحو ١٠ درجات عن درجة المحيط، وإلا فإن درجة حرارة اليابسة (تربو على ٤٥ درجة مئوية) تؤدي إلى موت الأجنة داخل البيض.

وبعد عناء البناء والتشييد يتم توفير سبل "الحراسة والتأمين" قدر المستطاع، كي لا يتم "سرقة البيض"، أو سرقة كل البيت حتى من الأقرباء، فيطارد زوجُ طائر أبي الحناء طيورَ أبي الحناء الأخرى، ويمنعها من الاقتراب من الشجرة التي اتخذها مسكنًا له. ويقوم الطير الواحد بمئات من رحلات الطيران لإنشاء عش للتمويه فقط، حيث لا يستطيع منقاره إلا حمل قطعة أو قطعتين من لوازم بناء العش.

مساكن الزواحف والأسماك

من الساحل البرازيلي تهاجر سلاحف البحر الخضراء للتكاثر، قاطعة مسافة ٢٥٠٠ كلم، عابرة المحيط الأطلسي نحو السواحل الإفريقية، وعند جزيرة "As-censionٍ" تضع بيضها في مساكن رملية، ثم تعود إلى موطنها دون أن تضل طريقها. وفي "أمريكا الجنوبية"

hiramagazine.com

أيضًا، يعمد الضفدع "الحداد"، و"صانع الفخار" لعمل إناء من الطين على مدى ٢-٣ ليالي، ومن ثم ينادي أنثاه لتضع البيض في آمان داخله. وقد يصنع الذَكَر من سمك "أبو شوكة" عشًّا مريحًا وواسعًا لتضع أنثاه فيه نحو ٣٠٠ بيضة.

عمارة الحشرات

تتضح قوانين الهندسة المعمارية ونظام العمل الاجتماعي التعاوني في الحشرات الاجتماعية؛ كالنحل والنمل، وتبرز براعة مُقدّرة، ومهارة فائقة في بناء بيوتٍ معقدة الإنشاء، بالغة الدقة، رائعة الأشكال الهندسية، ذات غرف ودهاليز ومخازن وممرات وأنفاق متشابكة. هذا وقد يصل ارتفاع عش النمل الأبيض إلى سبعة أمتار، لأن عدد البيض قد يصل إلى ٣٠ ألف بيضة في اليوم الواحد، وما سيتتبعه من بناء غرف جديدة، لتسع هؤلاء القادمين الجدد من النمل. وكذلك حشرة "الترميت" الإفريقية، تبني بيوتًا كالقباب والتلال والمسلات، وتزودها بقنوات وفتحات خاصة، كي يرتفع الهواء الساخن إلى الأعلى ليحل بدلاً منه الهواء البارد من أسفل. إنها طريقة رائعة من حيث تكييف الهواء، أليس كذلك؟

ويعتبر إنتاج الحرير في العناكب عملية روتينية تستعمل فيها العديد من أنواع الخيوط الحريرية لحماية البيض من الجفاف والعوامل الجوية، ولصيد الفرائس في آن معًا. فهناك نوع ينصب الشباك للفرائس الطائرة، ونوع آخر يحفر في الأرض فخّه، حيث تكون الخيوط لزجة قابلة للصق الفرائس عليها. وتنسج العناكب أنواعًا وأشكالاً مختلفة من الأنسجة؛ فمنها ما هو على شكل مثلث أو دائرة أو نسيج متشابك أو على شكل أنابيب. أما عناكب الماء فتكيفت لتستطيع العيش بالماء، فتبني بيتًا حريريًّا مقنطرًا بين النباتات تحت الماء. وطريقتها في التنفس؛ حمل فقاعة هواء من سطح الماء تجعلها قرب معدتها بواسطة رجليها الخلفيتين، بينما تنحدر بها إلى بيتها، وهناك تطلقها فيصعد الهواء إلى قنطرة بيتها آخذًا محل بعض الماء. وباستطاعة العنكبوت الصياد الذي يعيش في مياه أميركا الشمالية والمكسو بشعيرات صغيرة، أن يجعل في بيته من الهواء ما يكفيه للبقاء تحت الماء لمدة ٤٥ دقيقة.

سلوك غريزي

هل تشييد هذه المساكن والأعشاش "سلوك غريزي" لهذه الكائنات الحية؟ إن الكائنات الحية من ثدييات، وطيور، وزواحف، وبرمائيات، وأسماك، وحشرات، تقوم بالتخطيط قبل الشروع في تنفيذ البناء؛ فتختار أولاً المكان الأمثل والأكثر أمنًا لبنائها، ثم تنتقي من مواد البناء المتوافر والمناسب للظروف البيئية، مما يوفر راحة وسكينة داخلية وخارجية. حتى إن طيرًا يبني عشه لأول مرة، يملك قدرة عجيبة في البناء وينجز مهمته دون خبرة سابقة له. فضلاً عن أن العديد من أنواع الحيوانات عبر العالم تبني مساكنها بالكيفية العمرانية والنسق المعماري ذاته.

والخلاصة

دعونا، وفق ما يحث عليه الأستاذان "بديع الزمان سعيد النورسي"، و"فتح الله كولن" أن "نتأمل في بستان هذه الكائنات، وننظر إلى جنان هذه الأرض". وفي هذا التأمل الإيماني والنظر المعرفي "تنبيه للغافل الغارق في عبادة الأسباب، ليعلم أن الأسباب ليست إلا ستائر أمام تصرف القدرة الإلهية، لأن العزة والعظمة تقتضيان الحجاب، أما الفاعلُ الحقيقي فهو القدرة الصمدانية". ولعل المقولة الأخيرة للأستاذ "النورسي" تذهب عن البعض ما قد يشعر به من مظاهر الدهشة مما يرد في هذه السطور وأمثالها. وليس من شك في أن التفكر والتدبر في "آيات الآفاق" تمثل نهجًا وبرهانًا علميًّا وتعليميًّا وتربويًّا وفكريًّا وفلسفيًّا يؤدي إلى تبين الحق والرشد والشهود، يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت:٥٣). ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

hiramagazine.com

بالحق التزم، وعاليًا ارفعه، وابحث عن الوسائل التي توصل إليه.

الموازين

في حب كلام الله

إذا أحبَّ المرء شخصًا أحبَّ كلامه، وإذا أحبَّ كلام شخص أحبَّه بالضرورة. أمّا مَن فصل بين الشجرة وثمرها، وفرَّق بين الإنسان ومنطقه، ثم ادّعى هوىً للأصل دون الفرع أو للفرع دون الأصل، فقد ناسب أن يسمّى "دعيًّا" لا "حبيبًا".

القرآن الكريم كلام الله تعالى، هذه حقيقة بديهية لا غبار عليها ولا تحتاج إلى دليل. والمسلم السوي بطبعه يحرص على إظهار معاني حب الله لينال رضاه ورضوانه، غير أن المفارقة أنَّ قلة من الناس مَن يرتبط بكلام الله برابطة "الحب والعشق"؛ فكثير منّا يتلوه، ويصلّي به، ويختمه، وممّا مَن يحاول فهمه وتدبُّره وتفسيره، وقد يغوص في معنى من معانيه، أو قد يُنجز بحثًا أو بحوثًا تحوم حوله.. غير أن كل هذا قد لا يعني بالضرورة أننا نرتبط بهذا الكتاب "بقلوبنا ووجداننا" ارتباط الحبيب بمحبوبه، ونتعلَّق به تعلُّق العاشق بمعشوقه.

إذا غابت محبوبةُ هائم اسودَّت الدنيا أمامَه، وإذا تمنَّعت وهجرتْ ضاقتْ عليه الأرض بما رحُبت، وإذا بدَّلت به غيره تمنى الموت وضجرَ مِن الحياة، وإذا ماتت وانتقلت إلى باريها لازم قبرها باكيًّا مُبكيًّا؛ وهو لا يهجرها ولا يتنكر لها إلا إذا انصرف قلبُه عنها وصادف حبًّا آخر غير حبِّه الأول، أو إذا وجد من يُنسيه في حبيبه المألوف ويغريه بتجربة جديدة وأمل حقيق. أمّا إذا اعتاد صاحبُنا تغيير الحبيب

إذا أبـصرتَ مَن يصل القلب بالعقـل، فهمًا وقراءة وتفسيرًا لكلام الله سـبحانه، ثم إحساسًا ووجدانًا وتمثُّلاً وإدامة وصلٍ بكلام الله جل شأنه، فاعلم أنه من "الكمَّل"، وهو محسـوب في عداد "المؤيَّدين" حُقَّ له أن يكون للمتقـين "رائدًا وإمامًا"، وهو عند الله محبوبًا.

حراء

على وقع المواسم والتقلبات، فذاك المخادع الكذَّاب، وذلك هو الأفَّاك المبين.

الآن أسألُ نفسي: هل أحبُّ القرآن الكريم؟

ثم أسألها ثانية: وهل يحبُّني هذا الكتاب العظيم؟

قد أستعجل الجواب، وقد ألقي به باردًا دون تفكُّر: نعم، لا شكَّ في ذلك.

وقد أسوق بعض الأدلة وبعض الأمثلة على قربي من كلام ربي وارتباطي به.

غير أن الخبر اليقين مخبَّأٌ هنالك، في قرارة قلبي، وفي أغوار وجداني، واضحٌ لي وضوح الشمس في رابعة النهار، صريح عندي صراحة القمر حين اكتماله بدرًا، لا تخفى الشمس ولا يخفى القمر إلا لمن أغمض عينيه أو أدار ظهره لمصدر النور.

ولذلك، كانت حقيقة الحب ذاتيةً خفيَّة مكنونة، وكان أثر الحب ظاهرًا بيّنًا صدّاحًا، بل فضّاحًا.

لو أنك وضعتَ نسخة من المصحف الشريف بين يدي عجوز أعجمية لا تعرف من العربية شيئًا إلا ما تصلّي به، ثم رأيتَها جالسة بوقار، تضمُّه إلى صدرها وهي تبكي بعيون منهمرة، لا تلوي على أحد ولا تأبه لما حولها ولا لمن حولها، تيقَّنتَ أن المرأة تتفنَّن في معاني الحب للكتاب الحكيم، وتمارس لوازم الحب لهذا الكتاب الكريم.

أمّا إذا رأيت منغمسًا في تفريع ألفاظ القرآن إعرابًا وبلاغة وبيانًا، أو مَن يحيط به بعلوم مختلفة مما تخصَّص فيه، ثم هو -مع ذلك- لا يتحرك قلبُه قيد أنملة ولا يعبّر عن هواه هنيهة، فهمتَ أن المسكين ابتُلي بجفاء القلب وهُزمَ بجفاف الوجدان.

لكن، إذا أبصرتَ مَن يصل القلب بالعقل فهمًا وقراءة وتفسيرًا لكلام الله سبحانه، ثم إحساسًا ووجدانًا وتمثُّلاً وإدامة وصلٍ بكلام الله جل شأنه، فلم يقطع ما أمر الله به أن يوصل، ولم يجعل القرآن عِضين، ولم يفرّق بين قول وفعل، ولا بين فهم وحب، وهو فوق ذلك يحمل كلام الله إلى مفاصل الحياة لينيرها ويرشدها، وهو مع ذلك يجذِّر كلَّ حركية ومشروع وفكرة ومؤسّسة واختيار، وكلَّ إقدام أو إحجام، بجذور غائرة في تربة كلام الله تعالى الطيّبة الحيَّة المحيية المعطاء.. إذا رأيت أحدًا من هؤلاء فاعلم أنه من "الكمَّل"، وهو محسوب في عداد "المؤيَّدين"، حُقَّ له أن يكون للمتقين "رائدًا وإمامًا"، وهو -ولا شك- عند الله محبوبًا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(آل عمران:٣١)، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(المائدة:٥٤).

حاجتُنا اليوم، إلى السمو بالقرآن نحو مقام الحب، والعلو به إلى مقام العشق، موصولاً بالفكر الصريح والفهم الصحيح، أي إن الحاجة ماسّة إلى منعَّمين يصدق فيه قوله ﷻ: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(مريم:٥٨).

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ هو شطر التوفيق والتمكين والعمارة والعقبى فيهم.

﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ هو شطر الحب والعشق والصدق والعرفان في حقهم.

أمّا ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾ فهو عنوان المنهج، ودليل الطريق، ووصفة الانعتاق من الدائرة المغلقة، ومن أسباب الوهم والادعاء المعرفي والوجودي على السواء.

فلا يقوم معنى من هذه الآية مقام آخر، وإنما هي شروط ثلاثة حتى يواتينا الحبُّ صدقًا لا ادعاء:

- تلاوة ومداومة
- اهتداء واجتباء
- سجود وبكاء

اللهم ارزقنا حبك، وحبَّ كتابك، وحبَّ نبيك، وحبَّ من يحبُّك، وحبَّ عمل تحبُّه، يا عزيز يا حليم يا حكيم. ■

(*) مدير معهد المناهج، الجزائر العاصمة / الجزائر.

د. مجدي سعيد*

اتخذ من سلوكك وحسْن تصرفك مداخل إلى قلوب الآخرين.. فإذا أحبّك الآخرون انفتحتْ لك القلوب وهفتْ إليك الأرواح.. واجعل جوهرك الإنساني يشع دومًا لأبعد الناس وأقربهم.. فإنْ غفلتَ عن ذلك، ساءت حالك وهبط شأنك، واستخفّ بك الآخرون.

الموازين

إيلاف النباتات للنمل

قال العلامة الشيخ طنطاوي جوهري -رحمه الله- في تفسيره لسورة الفاتحة: "لما كان أكثر الناس لا يلحظون العجائب الكامنة فيهم، ولا يعرف نفسه إلا قليل منهم وهم أكابر الحكماء والأولياء، وجب أن أبين في هذا المقام بعض رحمة الله ﷻ في العالم المشاهد (...) ومن هذه العجائب ما شاهده العلماء الباحثون في أمر النحل والنمل والعنكبوت (...) وأما النمل فمن عجائب الرحمة الخاصة به، أن الله خلق له حشرةً تسمى "افس" باللسان الإفرنجي، يحاربها النمل ويغلبها، ومتى غلبها أخذ يستولدها ويربيها ويسيمها في ورق الورد، ومتى أكلت وشبعت أقبل النمل عليها وامتص منها مادة حلوة، فكأنه بقر له يشرب لبنه"[1]، وتحت

عنوان "اكتشاف أقدم أليف نمل مدفونًا" نشر موقع Nature الطبعة العربية[٢]: لطالما وُجدت الحشرات التي تطمر نفسها في مستعمرات النمل منذ أن وُجد عائلها تقريبًا، ومنها الخنفساء التي عاشت منذ ٥٢ مليون سنة، ووجدت مدفونة في الكهرمان، وهي أقرب مثال معروف لأليف النمل "Myrmecophile"؛ وهو النوع الذي يعتمد في بقائه على النمل. ويُعَدّ النوع المحدَّدة هويَّته حديثًا "Protoclaviger trichodens"، سلفًا منقرضًا للخنافس المعاصرة، ولديه سمات مميزة، كالشعر الذي ينقل به إفرازات حلوة إلى شغالات النمل.

إيلاف النمل

فمن عجائب تربية الله لخلقه في إطار رحمانيته سبحانه، ما ينشأ بين الخلائق من علاقات تكافل وتعايش، ومن ذلك ما ينشأ بين النمل وأنواع مختلفة من الكائنات. وتقدر أنواع النمل في العالم بما يقارب العشرة آلاف نوع يعيش أغلبها في المناطق المدارية. لكن النمل يتواجد في كل النظم الإيكولوجية في العالم، بل إنه يمثل النوع السائد عدديًّا وبيئيًّا بين اللافقاريات الرئيسة حول العالم. أما إيلاف النمل أو ما يطلق عليه علميًّا "الميرمكوفيلي" (Myrmecophily)، فهي تلك الحالة من العلاقة الإيجابية بين النمل ومجموعة متنوعة من الكائنات؛ كالنباتات والمفصليات والفطريات والقائمة في الأغلب على التعايش والمنفعة المتبادلة، لكنها قد تقوم أيضًا على التطفل.

قد تكون للكائنات أليفة النمل هذه، وظائف مختلفة في مساكن النمل المضيفة، فبعضها يقوم بمهمة تنظيف تلك المساكن من النفايات مثل النمل الميت واليرقات الميتة، كما توفر بعض تلك المساكن مكانًا لنمو بعض أنواع الفطريات، بينما يتغذى بعض الكائنات على الطعام المخزن من قبل النمل، ويقوم البعض الآخر بافتراس بيض النمل أو يرقاته أو العذارى، وعلى العكس من ذلك تقوم بعض تلك الكائنات بتوفير مصادر لغذاء النمل، وسبحان القائل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾(الذاريات:٤٩)، وكأن تلك الوظائف المتضادة لتلك الكائنات تقدم لنا نموذجًا لهذه الزوجية، كما أنها تقدم لنا نموذجًا للتوازن الطبيعي بين الكائنات في الكون فلا يطغى بعضها على بعض. وفي ذلك يقول الدكتور أحمد زكي: في عالم الأحياء، كل يقتل، وكل يأكل، وكل مقتول هو في دوره قاتل، وكل مأكول هو في دوره آكل، ولو عشب الأرض، فلا خلال العشب من الحياة. إنه قانون الحياة، ليس إلى إنكاره سبيل، وهو بين قوانين الحياة أصدق قانون وأشمل قانون، وهو القانون الذي إذا تعطل تعطلت معه الحياة كما نعرفها". وصدق القائل سبحانه: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾(الحجر:١٩).

hiramagazine.com

النمل والنبات

العلاقة ما بين النمل والنبات، من بين أنماط العلاقات المنتشرة جغرافيًّا على سطح الأرض، فبعض النباتات تقدم مأوى وغذاء للنمل في مقابل قيام النمل بحماية النبات أو نثر البذور أو الحد من منافسة النباتات الأخرى أو الإصحاح أو تقديم المكملات الغذائية. وهناك ثلاثة من أنماط العلاقات الشائعة بين النبات والنمل تعد هي الأكثر شيوعًا وأهمية.

• **تجاويف الحماية** (Domatia): وهي أشبه بمساكن سابقة التجهيز تقدمها النباتات للنمل، ومنها جذوع النبات وأعناقه وأشواكه ذات التجاويف، أو الأوراق المتكورة على نفسها. وقد تم تسجيل تكوّن تجاويف حماية مخصصة للنمل في أكثر من ١٠٠ جنس من النباتات الاستوائية على سبيل المثال.

• **الأجسام الحزامية** (Beltian Bodies): وهي تقدم مصادر للغذاء عالية الطاقة للنمل في شكل الكريات الغذائية المنتجة على أطراف وريقات النبات، وقد تم وصفها في ٢٠ أسرة على الأقل من النبات.

• **الغدد الرحيقية خارج الأزهار** (Extrafloral Nectarians): تحدث في ٦٦ أسرة على الأقل من النباتات كاسية البذور في كل من المناطق المعتدلة والاستوائية، وكذلك بعض السرخسيات، لكنها غائبة في جميع عاريات البذور والأكثر وفرة في المناطق الاستوائية. ولأن تلك الغدد تكون خارج الأزهار، فلا يتم توظيفها في التلقيح، ومن ثم يكون الغرض الأساسي منها هو الجذب والحفاظ على النمل، لكن العديد من النباتات تستطيع التحكم في تدفق الرحيق إلى تلك الغدد، بحيث يتغير ذلك التدفق وفق دورات يومية أو فصلية. ولأن الله وهب النمل القدرة على الاستجابة السريعة لتغير مستوى تدفق الرحيق إلى تلك الغدد، ربما تكون هذه هي الآلية التي يستحث بها النبات النمل على النشاط في أوقات ذروة نشاط الكائنات العشبية مما يقلل من كلفة إنتاج الرحيق. مجمل الناتج الغذائي لكل من الأجسام الحزامية والغدد الرحيقية خارج الأزهار، يمكن أن يمثل وجبة غذائية معتبرة للنمل، وفي بعض الحالات يمكنها أن تقدم كل الاحتياجات الغذائية لمستعمرة نمل كاملة.

في مقابل تقديم السكن والغذاء للنمل، يقوم النمل بحماية النبات من الحيوانات العشبية، ومن أفضل النماذج على علاقة تبادل المنافع والمصالح تلك بين النبات والنمل، هي التي تقدمها أشجار سنط البوق (Bullhorn Acacias) والنمل المعروف باسم سودوميرمكس (Pseudomyrmex) في أمريكا الوسطى، وهي العلاقة التي درسها "دان جانزن" في ستينيات القرن العشرين، وقدم فيها الدليل العلمي على تقليل النمل لهجمات الحشرات الآكلة للنبات والحيوانات الثديية العشبية على ذلك النوع من أشجار السنط بشكل كبير، في مقابل تقديم تلك الأشجار لثلاثية التجاويف الحامية والأجسام الحزامية والغدد الرحيقية خارج الأزهار.

من بين الخدمات الأخرى التي يقدمها النمل للنبات، الخدمة الإصحاحية، حيث يحافظ بعض أنواع النمل على أسطح الأوراق نظيفة ومعافاة من الأمراض، كما تقدم الدفاع ضد مسببات الأمراض الفطرية، كذلك يشيع تقليم النمل للنباتات المتسلقة والكروم والنباتات الطفيلية عن النبات الذي يؤويها، بما يقلل المنافسة البينية بين النباتات على المساحة والضوء والمغذيات والماء. من بين الخدمات أيضًا، ما أثبتته الدراسات من علاقات غذائية متبادلة بين النمل والنبات، حيث أثبتت إحدى الدراسات أن ٩٠٪ من النيتروجين في أشجار السيكروبيا (Cecropia Trees) ناتج من بقايا نمل الأزتيكا (Azteca) الذي يحصل في المقابل على ٨٠٪ من احتياجاته من الكربون. وفي ضوء تلك الخدمات فإن إيلاف النبات للنمل يمكن أن يكون غاية في الإفادة لحياة النبات والنجاح البيئي[٣]، فانظر -حفظك الله- إلى آثار رحمة الله، وقل "الحمد لله رب العالمين". ■

(*) باحث وكاتب مصري.

الهوامش

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهري، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج١، ب ت، ص:٤.

(٢) أضواء على الأبحاث، Nature الطبعة العربية، ٩ أكتوبر ٢٠١٤.

(٣) في سبيل موسوعة علمية، لأحمد زكي، دار الشروق، القاهرة، ب ت، ص:٨.

hiramagazine.com

د. ليلى محمد السبيعي*

شوق العاشقين

يا شوق العاشقين ترفق بي، كبدي أمست من الحنين أشلاء متناثرة على رُبى دمعي الحزين، وخافقي باسمه ما يزال يهتف؛آه بلهفة من أهلكه الشوق وأضناه الجوى يهتف ويهتف: يا رب ارزقني نظرة في وجه حبيبي، فمن رآه فقد رآه.

وأفتح المصحف فأقرأ من جديد ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾(الفتح:٢٩). آه.. ويمتد الوجع، وتكبر الآهات الكاوية لتصير على خلجان قلبي أمواجًا عاتية. وأهيم، أهيم في بساتين عشقي اليانعة وبين جنبات حقول وجدي الخضراء، أنثر أزاهير شوقي، وما جمعته من أسرار الأنوار المحمدية في الطريق، فتجثوا البلابل على كتفي منشدة "محمد رسول الله".. آه يا رسول الله ما أكرم من بعثك، آه ما أكرمه، آه ما أجوده.. نحن أحبابك الذين أتوا من بعدك وصدقناك، أحببناك حد البكاء.. هِمْنا على وجوهنا بحثًا عنك، فهل يا رسول الله للأحبة من لقاء معك؟ كل خطوة نخطوها أنت فيها الهدف، فهكذا خطى الأحباب تسير، علّها تقتفي الأثر العظيم، أثرَك يا خير الخلق كلهم.

يا من هز أساريرنا بأسرار الوجود، دموعنا أعياها البكا والانتظار، وأكبادنا تكاد تحترق.. أتُراك حجبت عنا بأسرار أنوار خلقك الكريم أم بظلمات غفلتنا؟ نناشدك البارئ خالقَك: جُد علينا بوصال، فمهما كانت ذنوبنا سنبقى أحبابك بنو أصحابك.. رسول الله، ببابك نحن واقفون ننتظر، حاملين أعباء اللقاء.. بغيتنا حوضك وصحبتك يا سيد ولد آدم.. آه.. لكن الكلمات تستحي منك، فتنمحي الأحرف كما كل مرة لتهب الدموع إزميلاً ينقر آيات حبك أسطرًا على الخدود.. نقوش كلمات شوق ووجد، أملها الأوحد الكبير أن تقرأها يوم نلقاك يا نبي الرحمة.. لكن مهما كانت -يا سيدي- حرارة الدموع، ومهما خالطها من شوق وصدق، سنبقى نحن المتوارون خجلاً منك، أو نقدر على إرجاع قليل من دينك الكبير؟ فأنت دافق الهدايا والعطايا وروائع الكرم.

كلما أحسست بالغربة في عالمي، أتذكر صبرك يا دواء قلبي وبلسم كل العوالم، فأهتف في فرح: إن كنتُ على خطاك أسير فلا أبالي.. وكيف أبالي، وبمن أبالي وأنت القدوة وأنت المعلم.. حتى لو كنت وحيدًا في الطريق، لا ولن أبالي، فكل خطى قدمي أنت فيها يا سيدي الهدف، لهذا أحث الخطى إليك.. أسري بالليل ونور وسحر اسمك يرش الطريق أنوارًا إليك جاعلاً سفري نهارًا إليك، فهل تصد قارع بابك يا مبعوث الرحمن الرحيم؟

انكسرت يا سيدي مرات، كان أول انكساري لما

سقطت أرض معراجك المباركة في بِرَك من دماء شهدائها.. وتوالت الانكسارات تباعًا، فالمصائب لا تأتي فرادى، ورحت أهتف وأصرخ أين المفر؟ أين السبيل الآمن؟ أتُرانا نضيع؟ أهكذا بعد كل جهدك وصبرك لتبني فينا الأمة والحضارة، ننكسر ونضيع؟ فأتذكر أنك نبي الله، والذين معك أشداء على الكفار رحماء بينهم، فأشمّر يا سيدي عن سواعد جِدّي، وأَرُوح أبحث عمّا يحيينا من جديد..آه.. لقد أنهكني وأعياني البحث والتعب، ثم وجدت كنزًا مغطى بجبال من الغفلة.. نعم يا سيدي.. لقد عرفت أنه إن يبقى الإيمان يبقى كل شيء، ويعاد بناء كل شيء، فيجبر الكسر، وتلتئم الجراح.

لقد عرفت أنك لم تكن تبني القصور والمباني الفخمة كما البقية، كنتَ تبني الإنسان بآجُرّ الإيمان السماوي. فزلزال واحد يقضي على الصروح الشاهقة فيجعلها أنقاضًا وشروخًا، لكن روح المؤمن السماوية التي بنيتها لن تنكسر أبدًا.. لقد عرفت يا حبيب القلوب المؤمنة إن انكسر كل شيء وبقي الإيمان فينا حيًّا نورثه لأبنائنا، نرضعه لهم حليبًا من أول صرخة، فإن كل كسورنا أكيد ستجبر، ستجبر أكيد، وأن كل شيء فقدناه في سبيلك يؤجر.

رسول الله.. علمتنا كيف نقوى بالرحمة والإيمان في هذا الوجود، ملأت بهما قلوبنا فترحَّمْ بنا وتقبّل منا حبّنا لك؛ حبًّا ينفجر براكين كلمات وأحرف من هياكل شوق وعشق سرمدي.. وبالحب والخير الذي ملأت به صدورنا نحن عائدون من جديد، أمة حب ورحمة بالخير تفيض على الأكوان والعوالم، لنلقى بكل ما في قلوبنا من حب وخير وعطاء وإيمان ربًّا عنا راض غير غضبان.. وبسمة وجهك المشرقة علينا تملأ الأمكنة وتجاوز السبع الطباق مبشّرة من تمنى رؤياك بأنا عنك وعن حوضك لا فراق. ■

(*) كاتبة وأديبة مغربية.

حراء
مجلة علمية فكرية ثقافية
www.hiramagazine.com

في انتظار قدومك

شجرةٌ خضراء أنتِ؛
ظلالك وارفة،
وأغصانك رائقة...
من قلْب الصخرة الصمَّاء انبثقتِ،
وبالنَّماء والحياة تنعّمتِ...
لستِ وحيدة ولا غريبة،
إذا ما بذورك نثرتِ،
وإلى الانتشار سعيتِ..
اقضي على عهد الاغتراب،
تشبعي بالإيمان، فلن يخيبك،
فأنت في عين الله،
يكلؤكِ ويرعاكِ...

* * *

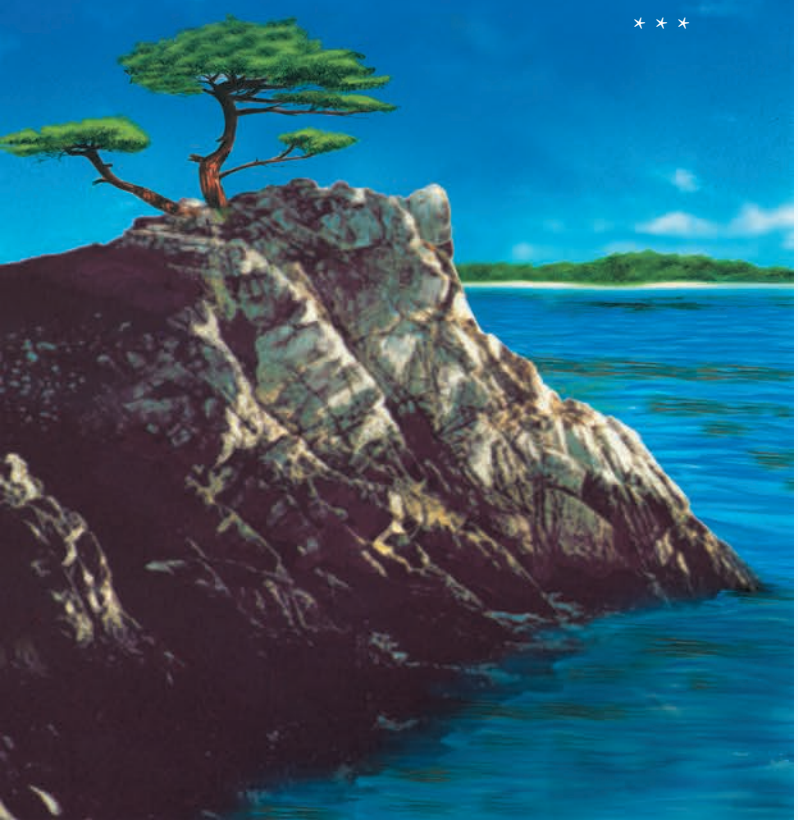

أ.د. فؤاد البنا*

سمو الدعوات وعظمة الحقائق تبقى سرمدية لا تموت إذا ما عَزَّزَ وجودَها وأدار محركات استمراريتها عزمُ المنتسبين إليها وجهدهم وإخلاصهم ووفاؤهم، فعلى صخرة صلابتهم تتحطم سهام الأعداء وشراسات أحقادهم.. أما إذا تهاون أصحابها، وقلّ إخلاصهم، وعزّت تضحياتهم ومات الوفاء فيهم، فإنهم يكتبون على دعوتهم صكّ الزوال والاندثار والنسيان.

الموازين

النفاسة المحمدية

في تحويل "النفوس الأمَّارة" إلى "إمارات نفيسة"

للنبي محمد ﷺ عشرات المعجزات، بل وصل بها بعضهم إلى المئات، حيث ذكر بديع الزمان النورسي أنها تصل إلى ألف معجزة، أورد ثلاثمائة منها في إحدى رسائل النور.

وسأذكر في هذه المقالة واحدة من إنجازاته العظمى ﷺ والتي ترقى إلى صفوف المعجزات بل هي أعظم منها، باستثناء معجزة القرآن الكريم، وهي عبقريته الفذة في تحويل "النفوس" "الأمَّارة بالسوء" إلى "إمارات نفيسة" من القيم النبيلة والمبادئ السامية والأخلاق الرفيعة.

ومن يعرف ما كان عليه الأعراب قبل الإسلام، يدرك أنهم كانوا "نفوسًا أمَّارة" بذواتهم، حيث كانوا مضرب المثل في التخلف والتفرق وقطع الطرق والتقاتل لأتفه الأسباب، وصاروا بمحمد ﷺ "إمارات نفيسة" تزخر بالمآثر، وتحفل بالمكارم، وتطفح بالعظائم، وتتزيّن بالمحامد، وتتعلق بالجلائل، وتهفو إلى المعالي.

من الغرق في القيعان إلى الطيران فوق القمم

لقد علَّم ﷺ أصحابه كيف يرتفعون من القيعان نحو القمم، وكيف يترفعون عن الأسافل والسفاسف إلى المعالي والعظائم، وكيف يتحررون من حبائل الجهل وآثار التردي في حفر الأنانية إلى آفاق العلم ومسامق العرفان، وكيف يصعدون من هاوية الجَور والبَخْس إلى سماوات القسط والإنصاف.

لقد حررهم من نوازع النفوس الأمَّارة بالسوء، ومن نوازغ أبالسة الشيطنة الرجيمية، الداعية إلى الشر المستطير، والمتنكبة للصراط المستقيم، والدافعة بالناس نحو أبواب الجحيم.

ولقد استأصل من نفوسهم نوازع الشر، وزرع بدلاً عنها أوازع الخير، انتزع منهم "ملَكة الافتراق" ووضعهم في "مملكة الاتفاق".

وجعل من كل فرد منهم إمارة تذخر بالنفائس، حيث صارت نفوسهم تأمر بالعدل، وتتحرى الصدق، وتتبع الحق، وتأنس بالخير، وتسمو بالنصح، وتهفو إلى كل سامق، وتستمتع بكل جميل، وتأمر بكل معروف،

إذا كان الله ﷻ قد فَتَقَ رَتْق السماوات والأرض، فقد رتَـقَ بمحمد ﷺ فتوق البشر، حيث رتق الفتْق الذي كان قائمًـا بين المـادة والروح في تكويـن الفرد، ورتق الفتـق القائم في تركيـب الأسرة بين الذكر والأنثى، ورتـق الفتق القائم في تكوين المجتمع بين الحاكم والمحكوم.

حراء

وتحرص على كل نفع، وتشيد بكل صالح، وتستفيد من كل مفيد، وتهتم بإسعاد الورى، وتبتهج بخدمة الأنام.

وبالجملة، فقد علّمهم ﷺ اجتراح العظائم وأبعدهم عن اقتراف الكبائر، دفعهم إلى اجترار المآثر دون ارتكاب الآثام، وحضهم على التلفُّع بالمزاين والانتباذ عن المشاين.

معادلات الرجولة

استطاع ﷺ اجتثاث أوضار التراب وأوزار الطين من تركيبة تلاميذه حتى صاروا رجالاً لا يعرفون الازْورار، بل صاروا أصحابًا ورفقاء له في العروج نحو الرحمن.

فقد اهتدى إلى تركيب معادلات الرجولة التي جعلت كل واحد منهم قمة سامقة تطاول السماء، وقامة شامخة تعانق الملائكة، مما أدى إلى إخراج جيل من الرجال العظماء الذين أتْرعوا الحياة بالروائع، وغمروها بالخيرات، ساكبين فيها شلاّلات السلام التي أطفأت الحرائق، وأخمدت الفتن، وجلبت الأمن ووفرت السكينة، وأمّنت الروعات.

لقد استأصل من القلوب أدرانها، ومن الأفئدة أضغانها، ومن النفوس أوشابها، ومن العقول أوضارها، ومن الأرواح أكدارها، حيث خلّى من نفوسهم سخائم الأخذ، وحلاّها بسخاء العطاء، حرّر قلوبهم من مكاره الأثرة وزيَّنها بمكارم الإيثار.

ومن أرواحهم انتزع أكدار الخرافات، وصبَّ عليها مياه العلوم الصافية الجامعة بين البَرْهَنة والعرفان، وأخلى من قلوبهم أوشاب التراب السوداء، مبقيًا الخطوط التِّبرية التي جعلت تلك القلوب تلمع بالحق وتبرق بالحقيقة، وسمحت لها بأن تشرق بالأنوار وتشرئب إلى الملائكية.

لقد أدْهَقَ ﷺ عقولهم بكؤوس التفكر، وأتْرع قلوبهم بأواني التدبر، وغمر أرواحهم بمساكب التبصر، فانطلقت ذواتهم موحدة وفاعلة، تطير بجناحي التوْق والشوْق، لا ينسون ربهم في الخلوة والجلوة، وهم يسيرون في دروب إعمار الأرض وصناعة الحياة، دروب تحرير الخلق من الرِّق وتعبيد الناس للحق.

غيث السحائب المحمدية

من المعلوم أن جبريل عليه السلام شَقَّ صدر نبينا محمد ﷺ في طفولته، لينقي قلبه ماديًّا من آثار التراب التي تسمح للشيطان بأخذ حظه منه.. وبالمثل قام النبي ﷺ بشق صدور أصحابه، ولكن معنويًّا، وذلك بمبضع تربيته الذهبية، فأخلاها من أغلال الجهل وآصار الغفلة، وحطم الطبع الذي أحاط بها والران الذي حجبها عن فاطرها، ودمَّر ما استوطن فيها من قسوة وزيغ، ومن أكدار وسواد.

وقام بصبّ شلال القرآن عليها فأورقت وأزهرت ثم أثمرت وأينعت، وذلك من خلال مساكب عدة أهمها:

• التدبر: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد:٢٤).

• التذكر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾(ق:٣٧).

• التفكر: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾(الحج:٤٦).

• التوجُّل: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(الحج:٣٥).

• التوقِّي: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(الحج:٣٢).

• الاستهداء: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾(التغابن:١١).

• الطمأنينة: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾(النحل:١٠٦).

وبهذا، ولج الرسول ﷺ إلى القلوب من أبواب متفرقة، فأثلج الصدور، وأقرَّ الأعين، وسقى الأكباد، فسكّنت سواكب تربيته ﷺ الثوائر، وأطفأت الأحقاد، وبددت غيوم الشر الأسود، وبذلك فرَّت الليالي الحالكات، وأقبلت قناديل الفجر، معلنة للدنيا كلها ابتداء مسيرة إسعاد البشر ومهرجان إبهاج الكائنات، حيث تمّت بلسمة الجروح، وشفاء الندوب، وترْيَقة القروح.

وسكب الصحابة -بِدَورِهم- الإكسير المحمدي على الأجساد الهامدة والأرواح الميتة، فاستحالت أجسامًا تنبض بالحياة وتضجّ بالحركة، وأرواحًا تطير في العلالي وتسمو نحو المعالي.

لقد صبَّت سحائب تربيته النبوية أمطار غيثها على العقول فأنبتت أَسْمق الأفكار، وعلى القلوب فأورقت أسمى المشاعر، وعلى الأفئدة فأينعت أقوى الإرادات، وعلى الأرواح فأثمرت أرقى المعارج، وعلى النفوس التي تبوّأت الإيمان ليخرج من رحمها كل زوج بهيج.

ومن العقول "الضيقة الأفق" شيد ﷺ مراقي للصعود إلى "الآفاق الواسعة"، وجعل من القلوب المصفّدة معارج للسموق في الأنحاء الفسيحة، وجعل من الأرواح الضنكة أجنحة للتّحليق في أجواء السعادة وللتسامي في قمم الإنسانية الشاهقة وذرى القيم الباسقة.

الكون الذي ذاب في محمد ﷺ

مع أن محمدًا ﷺ بشرٌ من لحم ودم، وكان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء، إلا أن كثيرًا من الظواهر الكونية ذابت فيه هيامًا، حيث صار كونًا في ذاتٍ بشرية بفعل "كُن" الإلهية التي ربّته فأحسنت تربيته، وأدَّبته فأجادت تأديبه، حتى صار حياة للكائنات، وإكسيرًا للأحياء كالماء تمامًا، فإن الماء هو محمد للحياة المادية، ومحمد ﷺ هو ماء للحياة المعنوية.

وإذا كان الله ﷻ قد فَتَقَ رَتْق السماوات والأرض، فقد رتَقَ بمحمد ﷺ فتوق البشر، حيث رتق الفتْق الذي كان قائمًا بين المادة والروح في تكوين الفرد، ورتق الفتق القائم في تركيب الأسرة بين الذكر والأنثى، ورتق الفتق القائم في تكوين المجتمع بين الحاكم والمحكوم.

وإن تعجب، فعجبٌ حال المسلمين الذين تمتلئ حياتهم اليوم بالفتوق وهم لا يرتقونها باتباع منهج محمد ﷺ.

توحيد الخلق تحت راية التوحيد للخالق

لأنه ﷺ صار رتقًا لكل الفتوق، وجسرًا للربط بين الثنائيات المتناقضة والنواحي المتباعدة.. فقد كان موحدًا للناس تحت راية وحدانية الله تعالى الذي هداه

hiramagazine.com

للدين القيم، وأكرمه بقيم الائتلاف، ولذلك امتن الله به على المؤمنين فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(آل عمران:١٦٤).

لقد أجاد ﷺ تشبيك العلائق وتمزيق العوائق، وأحسن توشيج أواصر الألفة وتقطيع أواصر التكلف، واستطاع -رغم أميته الأبجدية- كتابة همزات الوصل بين الناس وطمس همزات القطع ومحو ثقافة القطيع.

استطاع ﷺ بمقدرة فريدة تربيط العلاقات، وتمتين الصلات، وتأسيس المشتركات، وتفعيل الأرحام، وتقوية جسور التكامل، وبناء قناطر العبور المتبادل، وردم الهُوَّات وغلق الفجوات، وحرق حطب الفتنة والحقد، ومحاربة التنافس المحموم والتنابذ المسموم.

لقد برزت عظمته ﷺ في تأليف القلوب المتنافرة، وتلقيح العقول المتناحرة، وتجميع الأرواح المتدابرة، بدفع الجميع للاستظلال تحت أفياء دوحة التوحيد التي أسقطت ثمارها الجَنِية، وأشاعت في أوساطهم دفء الوعي الجمعي بدلاً من هجير الفرقة والتمزق، ورغّبتهم في التقارب والائتلاف حتى صاروا جسمًا اجتماعيًا واحدًا.

وبفضل محمد ﷺ الذي هو تفضل الرحمن عليهم، صاروا متفوقين في هندسة جسور الائتلاف، وفي كيمياء التفاعل الخلاق، وفي فيزياء الانصهار ضمن بوتقة الأمة، وفي رياضيات التجمع تحت راية الإسلام الذي "يطرح" الخلافات، و"يزيد" المشتركات، و"يضخم" القواسم المشتركة، و"يُصفِّر" الأحقاد والضغائن.

ولهذا مضوا في بناء جسور التآلف وهدم قواطع التخالف.. طاروا بأشواق التوحد وتطيّروا من أشواك التفرد.. ولم يزالوا واصلين لمفردات التزاور، قاطعين لأسباب الازْورار.. وما فتئوا مغزِّرين لعيون الائتلاف ومجففين لمنابع الاختلاف.. فارضين لرايات التوحد، ورافضين لآراء التفرد التي تساهم في تشظي الأمة.. مادّين لحبال الحب والودّ وممزقين لحبائل الفتنة والحقد.

الانحناء للحقائق والاستعلاء على الأحقاد

لقد علمهم النبي ﷺ أن يستمعوا للجميع، وحيثما كان الحق ذهبوا إليه وساروا معه، دون نظر إلى أي اعتبارات

إذا كانت أعظم معجزات عيسى ﷺ إحياء الموتى، فقد أحيا محمد ﷺ أمة بكاملها إحياء ماديًّا ومعنويًّا، إذ صنع من زَبَد الناس زُبدة الأمم، وصنع من هواة الاختلاف عُشاق ائتلاف، وجعل من عصائب الترويع صُنّاع روائع.

حراء

غير موضوعية، ودون استدعاء لأي عصبيات طينية، وبحيث لا يعميهم غبار التراب المُتكوّم في أجسامهم عن رؤية الحقيقة والاعتراف بالحق.

وعلَّمهم الانكسار أمام إخوان المبادئ والقيم السامية، والانتصار على أعداء الحق والحقيقة، حاثًّا إياهم على الصدع بالحق في وجوه المبطلين، وتصديع رؤوس أهل الباطل بمطارق الحق.

وربَّاهم ﷺ على تصريف طاقة الذل إلى الداخل وتفريغ طاقة العز في الخارج، وعلى الاستكانة لأخوة الراية وإن اختلفت الآراء، وعلى السكينة عند مواجهة المتخندقين تحت رايات الضلال المبين.

لقد ربَّاهم على استشعار أنهم صغار بجانب إخوانهم، كبار أمام أعدائهم، بحيث يستحيل أن تحضرهم أدنى مشاعر الصَّغَار، إذ علمهم ﷺ كيف يصنعون بالضعفاء وكيف يصفعون المتكبرين.

لقد أبعدهم ﷺ عن أجواء التكبر والتجبر، ونأى بهم عن مهاوي الفواحش والفواسق، فصاروا أماثيل في الأخلاق، عجائب في الإنجاز، خوارق في الحركة، نماذج في التوازن، إذ يستزيدون ولا يتزيّدون، يطولون في ذواتهم ولا يستطيلون على غيرهم، يكبرون ولا يتكبرون، يسيرون في الأرض دون أن يتيهوا في الوديان أو تتيه بهم السبل، ودون أن تركبهم مشاعر التيه بما أعطاهم الله.

كانوا يصنفون الناس لكنهم ينصفون ولا ينسفون، وكانوا ينتقدون المخالفين لكنهم لا يَسِفّون ولا يُسفّهون، يعدلون في قول الحق ولا يعدلون عنه أو يعدلون به شيئًا.

يتحققون في البحث عن الحقيقة ويدققون في إدراك الحق، لا يبخلون بأفيائهم على الخلق ولا يَبخسون

hiramagazine.com

الناس أشياءهم.

كانوا رائقي الطباع تائقي العزائم، أنيقين في مظاهرهم مشرقين في جواهرهم، يختارون ثيابهم الجميلة بعناية غير متكلفة، وينتقون ألفاظهم العذبة باصطفاء غير متقعّر.

في خطابهم يمزجون بين الإقناع والإمتاع، وفي دعواتهم يزاوجون بين الترغيب والترهيب، وفي سيرهم يجمعون بين الوعي والسعي، ويوازن جهادُهم بين إرهاب المعتدين والرحمة بالمتعبين، وبالجملة فإنهم يعتدلون ولا يعتدون.

ولقد كان ﷺ منحازًا على الدوام إلى الحق والحقيقة، وما واجه كل أصحاب الباطل وأزهق الأباطيل إلا بهذا السلاح الفتاك.. فقد استعان على تراكم أطباق الضلال وتراكب طبقات الباطل بقذيفة الله النافذة فيه وهي الحق، ألم يقل الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾(الأنبياء:١٨)؟

استخراج "خير أمة" من بين فرث ودم "القبائل"

بعبقريته الفذّة، وهِمَّته العالية، ورحمته السابغة، وسعيه الدؤوب، وجهاده العظيم، استطاع ﷺ استنقاذ البشرية من الغرق في بحار الظلمات أوالفناء في محيطات العدم، ونجح في استخراج "خير أمة أخرجت للناس" من بين فرث القبائل ودم العشائر، حيث نقاها من أكدار الطين وأقذار الفرث وجعل منها لبنًا سائغًا للشاربين.

لقد استجمع من بين أشواك النفوس أزهارها، واستخلص من بين أكمام القبائل رحيقها، مازجًا إياه في بطن نحلته التربوية بمقادير منضبطة، صانعًا منه عسل "خير أمة" بعد أن صفّاه المصطفى بيديه وروحه، فصار شفاء للإنسانية من أسقامها، حيث خلّص القلوب من تقلباتها الزائغة، وأنقذ العقول من أوهامها الضلالية، ونقّى الأكباد من كُبَدها القاتلة، وعالج النفوس من آلامها المبرحة، وداوى الحلوق من غصصها الخانقة، وحرر الأجساد من أغلالها التي أوجعتها وشلّت حركتها، وجعلتها مجرد أشياء في أسواق النخاسة وحظائر الطغاة.

تتجلى عظمة محمد ﷺ في كل أقواله وأفعاله، في سائر قراراته وتقريراته، وفي جميع مناشطه وتحركاته، ومن ذلك بل وأهم ذلك، نجاحه المنقطع النظير الذي ما زال مدهشًا ومبهرًا لكل من عرف سيرته، ونفذ من خلالها إلى سريرته العظيمة إلى يومنا هذا، وذلك في جعل قبائل الأعاريب أمة الأعاجيب.

وإذا كانت أعظم معجزات عيسى عليه السلام إحياء الموتى، فقد أحيا محمد ﷺ أمة بكاملها، إحياء ماديًّا ومعنويًّا، إذ صنع من زَبَد الناس زُبدة الأمم، وصنع من هواة الاختلاف عُشاق ائتلاف، وجعل من عصائب الترويع صُنَّاع روائع.

لقد سلّط عُبّاد الأصنام على منظومات الصنمية، فمزقوها بعلومهم ومعارفهم، بسننهم وأسنانهم، بسيوفهم وسنانهم، حتى صارت غثاء أحوى، ورمادًا تذروه الرياح!

وعلَّم قُطّاع الطرق كيف "يقطعون" الفيافي لاستنقاذ الناس من أوكار الشرك، مخرجًا إياهم من عماية الغواية إلى بصائر الهداية، وعلَّم الأعراب كيف يعبرون القفار الجدباء لأجل زراعة القلوب المتصحِّرة حتى تعمر بالخيرات، وإحياء الشعوب التي ماتت في بطون الفكر العدمي، واختنقت في سجون التقاليد السقيمة وفي زنازين الاستعباد الصنمي، بعد أن كَبَتَ الجبابرة آراء الناس، وكتموا أنفاس الحرية، وأمَّموا حقوق الآدمية، وسمّموا نسائم الكرامة.

لقد أطلق ﷺ "خير أمة" من أسرها، مذكيًا أسرارها المخبوءة ونفائسها المطمورة تحت أركمة التخلف وطبقات الضلال المبين، فصارت العسل الشافي للناس من أسقام الاستبداد والاستعباد، حيث كرَّست نفسها لخدمة المستضعفين وتحرير المأسورين، واستمرت في جهادها حتى لم تكن فتنة، وكان الدين كله لله، وصارت الأرض جميعها لسائر البشر.

"أنفاس النبي" تصنع "نفائس الناس"

كانت أنفاس النبي ﷺ ذلك الإكسير الذي أخذ شكل النسيم الساحر، والذي سرى بين العرب أولاً، فأحياهم من موات، وبصَّرهم من عمى، وأسمعهم من صمم، وأيقَظهم من سُبات، ونظّمهم من انتشار، وجمَّعهم من

hiramagazine.com

شعث، ثم سرت تلك النفخة الروحية في أوصال سائر الأمم، فانبعثت من موتها الذي استمر ردْحًا من الزمن.

لقد ظل يُقدم الحجج لأصحابه على قضايا الإيمان، ويرتقي بهم في سُلَّم البراهين إلى أن استقر معهم على متن اليقين، وإلى أن وقفوا على مرساة "المحجَّة البيضاء"، لم يَزغ عنها إلا الهلكى من المنافقين وعديمي الإيمان.

استطاع ﷺ استنقاذ كل فرد من الكفر الأعمى إلى الفكر المبصر، ومن الشرك الأسود إلى الشكر النوراني، ومن الشك الشيطاني إلى الكشف الرباني، ونقل كل عربي من الوَحدة إلى الوُحدة، ومن النار إلى النور، ومن الحرمان إلى الحرية، ومن الأثرة إلى الإيثار.

لقد صنع ﷺ المعجزة الباهرة التي تجلت في تربيته وتجسدت في دعوته، إذ حوَّل سُمّ العدوانية الزعاف عند الأعراب إلى ترياق ناجع للناس، وأحال أعاصيرهم -التي جعلت أرضهم يبابًا- إلى رياح لواقح، حملت الغيث الهنيء والخير العميم لسائر مخلوقات الله.

ولأن الفرد هو مضغة الأمة، والعقل هو مضغة الفرد، فقد ركز ﷺ على بناء الفرد المؤمن المؤتلف مع الخلق، المنقاد للحق، المنفعل بالإيمان، الفاعل للصالحات، ولهذا جفَّف مياه الجبرية الآسنة، وأطلق عيون "القدر" السلسبيل التي استحالت إلى إكسيرٍ بَعَثَ الحياة في هوامد الناس، بإطلاق القوى من عقالها، والإرادات من أغلالها، والعزائم من أصفادها.

لقد علّم صحابته ﷺ التدرع بالقدر لا التذرع، والتوسل بالأسباب دون الركون إليها، واستكمال مشاعر التوكل على الله دون أن تخالطها أي من شوائب التواكل، وبهذا صار الواحد منهم بأمة كاملة أو بألف رجل، وفي المتوسط العام فاقت فاعلية المسلم عشرة أضعاف فاعلية غيره في سائر مناحي الحياة.

الربيع ميلاد للمحامد المحمدية

من تدابير القدر الرباني واللطائف السبحانية أن ولادة محمد ﷺ كانت في فصل الربيع، وهو الفصل الذي قضى الله أن تحيا فيه الأرض بعد موتها، وتخضرَّ بعد تَرَمُّدِها، وتُزهرَ بعد تَتَرُّبِها، وتَبْتسمَ بعد تَقَتُّمها، لتعود الأمطار إلى سحائبها، والحركة إلى كائناتها، والمياه إلى مجاريها، ويعود الأريج يُضمِّخ الأزهار، والتغريد يحدو العصافير، والخرير يفضح هدوء المياه، فتبتهج الطبيعة وتبتسم الحياة ويسعد الإنسان.

لقد كان ميلاد محمد ﷺ في الربيع ميلادًا لربيع الإنسانية بأسْرها، فبمولده ولدت الفضائل، وانبجست السجايا، وانبثقت الكمالات التي صنعت "خير أمة"، تلك الأمة الذهبية التي قامت على أكتاف ذلك الجيل الماسي من الناس، والذي امتلأ بالعباقرة، وحفِل بالنوادر، وتميز بالنوابغ، وازدان بالأفذاذ، وتزين بالعظماء، مما جعلهم يزدحمون عند الواجبات ويؤثرون بعضهم عند الحقوق.

لقد اجتمع لهذا الركب العظيم من الناس، من الخلائل والخلائق ما لم يجتمع لأي جيل في التاريخ الإنساني كله، بفضل التربية المحمدية والإكسير النبوي.

ومن ذلك مزجهم الدقيق بين بواعث الخوف من الله ومشاعر الرجاء بما عنده، فإنهم يَلتاعون لجمال الله ويرتاعون من جلاله، ولا يزالون جامعين بين إقدام الرغبة في الجنة وإحجام الرهبة من النار، بين الطمع بوعد الله والفزع من وعيده، بين رجاء سحائب فضله والحذر من موازين عدله، بين التَّوْق للثواب والتَّوَقِّي من العقاب.

لقد أوجد محمد ﷺ جيلاً فريدًا تجَرّد للمحامد وتأهّل للعظائم، حيث تعسْجَدت أفكارُه، وتذهَّبت مشاعرُه، قوالبُهم تعمل للمعاش وقلوبهم تهفو إلى المعاد.. أبصارهم تكتشف آفاق الدنيا وبصائرهم إلى آماد الآخرة تنفذ، أقدامهم تمشي على الأرض، وأرواحهم نحو السماء تطير.

وهكذا، فقد نجح محمد ﷺ أيما نجاح في تحويل "النفوس الأمّارة" بالسوء إلى "إمارات" تفيض بالنفائس، وإلى لبنات متينة انبنت منها "خير أمة أخرجت للناس"، فماذا يا ترى يستحق منا محمد ﷺ؟ ■

(*) أستاذ الفكر الإسلامي السياسي، جامعة تعز / اليمن.

hiramagazine.com

أديب إبراهيم الدباغ*

الخروج من زمن التيه

قال ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾(المائدة:٢٦).

هذا زمن التيه؛ يباب وقفرٌ وجدب، سرابات إثر سرابات.. أيام خاويات، وليال كالحات، ونجوم غائرات، ووجوه مصفدات، شاحبات حزينات، باكيات ساجيات.. ورياح سافيات عاصفات، وأزهار مصوّحات، وآمال محبطات، وأعشاب هشيمات.. وفي الروح جراحات داميات، وفي القلب زفرات وغصات، وفي العين أدمع حارقات كاويات، وفي الكبد أوجاع وآهات.. ونساء نائحات، كاسيات عاريات، وعيون شاخصات في أجسادهن غائصات.

ويومًا طريقًا أبصرتُ، فسررتُ ونحوه سريتُ، طريقًا للخروج حسبته حتى إذا جئته، وفيه مشيت، وشوطًا قطعت، ونصبًا لقيت، وتعبًا كابدتُ.. فإذا أنا، من حيث أتيت إليه رجعتُ، وكأنني ما مشيت ولا طريقًا سلكت، فمنه الذي هربت، من جديد إليه عدت.

نمشي، نهرول، نلهث، نبهر، وإلى كل ناعق نتسمع، نشرّق ونغرّب، يمينًا تارة وشمالاً أخرى، وفي مدائن الغربة نتسكع، نذل، نخضع، نركع، وعلى الأعتاب نتمرّغ، عسى باب من الغرب يُشرع، أو قبسة ضوء من الشرق تلمع.. نقف وننتظر، نصبر ونتصبّر، فما التقينا الذي من أجله خرجنا، بل انتكسنا وإلى التيه من جديد عدنا.

أنت يا سماوي الذهن، يا موّارًا بمجرّات الأفكار، يا نافخ الحياة في الأموات، يا مفجّر الطاقات الهامدات، يا باعث الهمّات، يا مشعل الإرادات، يا جوهري النظرات، يا عميق الإدراكات.. متى تأتي، وسجن التيه تكسّر، وأغلاله تحطّم، وبالجموع تهتف: هلمّوا يا أبنائي، فقد وضح الطريق، واستبان الدرب، وأضاء السبيل، فمِن كوابيسكم استيقظوا، وتحفزوا، وإلى القرآن بادروا، فهو للموتى روح وقيام، ومن التيه منجاة، ولعمى العين ضياء، وللوهن قوة وانبعاث، ولقفر الزمان ريٌّ وشفاء، ولجدبه خضرة وخصب ومراع.

يا زمن التيه، يا رماد الأزمنة، يا ضلالات السنين، يا أغاليط الواهمين، يا نديم الذاهلين.. يا مديرًا للعقول، يا مدوّخًا للرؤوس، يا مسدل العتمات على منافذ العقول، يا مغشي العيون بسواد الظنون، يا مطفئ مصابيح الفهوم، يا حادي التائهين، يا هوة للضائعين، يا ملاذًا للهائمين، يا صدرًا للضجرين السئمين، الساخطين اليائسين المحبطين.

كن كما شئت، للتيه زمانًا، وللروح انهزامًا، وللعقل إضلالاً.. أما نحن فقد كسرنا قيدك، وتحررنا من غلك، وإلى خارجك خطونا؛ تفتحت منا العقول، واستحدّثْت منا الأبصار، والطريق اللاحبّ أبصرنا، ودروب الحق سلكنا، ومنارة الهدى قصدنا.. عُميانًا لن نكون، وضيّاعًا لن نظل، نحن الصح على أغاليطك، والحق على أباطيلك، والنور على ظلماتك، والهدى على ضلالاتك، والعقل على جنونك، والميزان على جنوحك، والإيمان على جحودك.

يا زمان التيه، أنت بدع بين الأزمنة، واستثناء بينها، ناموس الأزمان الأكبر خرقتَ، وعنه صددت وازدريت، نحن الشهود عليك، بنا أنت ابتُليت، ونحن بك ابتلينا، وامتحنّا عسانا من هذه المحنة نخرج ونحن على إيماننا محافظون، وعلى طريق الله سائرون. ■

(*) كاتب وأديب عراقي.

أنشطة ثقافية

عبد العزيز بن عمر*

تعظيم الشعائر واحترام المقدسات في الإسلام

إن من بين أهم شعب الدين الإسلامي، شعائر عظّمها الله تعالى من فوق سبع سماوات، ومقدسات زمانية ومكانية مرتبطة به ارتباطًا وثيقًا، احترمها الإسلام وعظمها وقدرها حق قدرها.. لكن -ومع مرور الزمن- ظهرت بين الفينة والأخرى آراء شاذة، وسُمعت أصوات ناشزة تستنقص من قدر تلك الشعائر، وتحط من قيمة مقدسات الدين الإسلامي استنادًا إلى دعاوى واهية وتأصيلات وهمية. وما ذلك إلا من أجل المساس بالإسلام وتصغيره في عيون الخلق وتشويه صورته الناصعة الحقيقية.. إلى أن ظهرت في أيامنا هذه اعتداءات على القرآن الكريم لفظًا وفعلاً، وعلى رسول الرحمة محمد ﷺ بشتى الطرق والأساليب، وعلى غيرهما من مقدسات الإسلام وشعائره.

وفي ظل تعدد الإساءات وتكاثرها، وبغية التنويه والتنبيه لخطورة الأمر وفداحته، نظمت مجلتا "يَني أُمِيت" (Yeni Ümit) التركية، وحراء -ذات المنبع التركي الناطقة بالعربية- مؤتمرًا دوليًا تحت عنوان: "تعظيم الشعائر واحترام المقدسات في الإسلام"، وذلك يوم السبت ٦ صفر ١٤٣٦ يوافقه ٢٩ نوفمبر ٢٠١٤ بمركز فرات الثقافي بإسطنبول تركيا.

بدأت فعاليات المؤتمر بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، بصوت القارئ مصطفى يغيت، ثم أتبعه الدكتور أركون جابان رئيس تحرير مجلة يَني أميت التركية، بكلمة ترحيب بالضيوف الذين شرّفوا المؤتمر وزينوه بحضورهم، والذين قدموا من مختلف دول العالم؛ من تركيا والهند وتونس والمغرب والأردن والسودان والسنغال وموريتانيا.. ثم عرّج على تبيين المواضيع والمحاور الرئيسية التي سيتناولها العلماء والأساتذة المشاركون في المؤتمر.

أحيلت الكلمة للكاتب التركي علي بولاج في مستهل الكلمات الافتتاحية، فتحدث عن الأزمات التي يعيشها العالم اليوم عمومًا، والعالم الإسلامي بالخصوص، حيث بين بولاج أن "العالم الإسلامي اليوم يدفع فاتورة النزاع الموجود في العالم بأسره".. وأكد في هذا الصدد على وجوب اعتماد المسلمين على أنفسهم في حلّ إشكالاتهم وحلحلة قضاياهم الشائكة بالرجوع إلى تراثهم الأصيل، ويشفّعوا ذلك بقوة العلم منهجًا وموضوعًا.

واعتمد المفكر السوداني الدكتور حسن مكي في كلمته التي ألقاها، على وصف مشروع الخدمة على أنه الشمعة التي تقهر ظلام الفتنة والطائفية المنتشرة اليوم في العالم الإسلامي انتشار النار في الهشيم، فمشروع الخدمة -تحت لواء الأستاذ فتح الله كولن- يوقد شموع الأمل والتفاؤل بدل أن يلعن ظلام اليأس والقنوط، فشباب الخدمة يرفعون كلمة "الله أكبر" في سبيل الله تعليمًا للناس وتنويرًا لهم، لا مقاتلة لهم وفتنة.

هذا وقد أكد فضيلة الشيخ طاهر فال من السنغال، أن فكر الأستاذ فتح الله كولن علّم الناس الحب والاحترام، "وإنا لنرسل له كل تقديرنا واحترامنا نيابة عن كل السنغاليين".

وفي كلمة ألقاها الشيخ عبد الله بن مدني من المغرب، بين فيها أن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة اليوم إلى الالتفات نحو شعائرها ومقدساتها لأنها روح الأمة، لذلك عليها أن تطوّر قدراتها الذاتية لتكون حقًّا خير أمة أخرجت للناس، ولتتمكن من إخراج الناس والعالمين من وطأة التخبط من أيديولوجية إلى أخرى. وفي ما تعلق بموضوع المؤتمر، بيّن الشيخ بن مدني أن لتعظيم الشعائر ثلاث خصائص؛ وهي استعادة أشواق الفطرة، وحماية المقدسات من حماية البشرية، وإدراك الرؤية الجمالية في الحياة.

ومن الهند قدِم مولانا "حميد الله لُونَه" الذي استفاض في كلمته حول موضوع إحياء القيم الإسلامية وبعثها من جديد لتغدو ديدن الناس؛ بها يتعاملون ووفقها يعيشون، وأكد أن هذا الإحياء يقع على عاتق الشباب والجيل الجديد فهم ثروة الأمة وكنزها الثمين، يجب أن لا نفلتها ولا نضيعها بأفكار متطرفة، بل بالسلام والحب والعلم نستثمرها.

المحاضرة الافتتاحية

المحاضرة الافتتاحية قدمها الدكتور خليل النحوي من موريتانيا، حيث نوّه فيها إلى أن المؤتمرات العالمية التي يعقدها أبناء مشروع الخدمة، هي بمثابة عالم مصغر؛ ففيه تجتمع كل الجنسيات والأعراق وتلتقي في جو إنساني أخوي. ثم تطرق الدكتور النحوي إلى مظاهر

د. أركون جابان / تركيا.

علي بولاج / تركيا.

د. جنيد أرن / تركيا.

د. عبد الحكيم يوجه / تركيا.

تقليل احترام وتقدير اسم الجلالة "الله" الذي يعتبر أقدس مقدسات الإسلام، ولفت الانتباه إلى أمر تقني بسيط لكنه اعتبره عظيمًا؛ وهو ما هو مألوف في كتابة اسم الجلالة في الكمبيوتر، فمن الملاحظ أنه كلّما كُتبت كلمة "الله" في جهاز الكمبيوتر تضاءلت الحروف، وكلما أضيف أي حرف للفظ الجلالة عادت الحروف إلى حجمها الطبيعي، وختم بقول الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾(النور:١٥).. وأردف الدكتور خليل النحوي قائلا: "إن من أهم المقدسات التي أهملناها ولا نؤديها حق النصرة، بيت المقدس الذي يدنسه الصهاينة اليوم، ويشوهون صورته التاريخية الإسلامية". وأضاف أن الاحترام في الإسلام يتعدى المقدسات إلى جميع المخلوقات، فالرسول ﷺ جعل حرمة الشجر بحرمة النساء والأطفال في نصيحته لجيوشه الفاتحة.

الجلسة العلمية الأولى

ترأس الجلسة العلمية الأولى الدكتور سعاد يلديريم من تركيا، وشارك فيها كل من الدكتور محيط مرت، والدكتور محيي الدين أق كول، والدكتور علي إحسان ييتيك من تركيا. ابتدأ الدكتور محيط مرت مداخلته بالبُعد التربوي لاحترام الشعائر والمقدسات، ودعا إلى وجوب إدراج ما يدعو إلى احترام الذات الإلهية والمقام النبوي، وغيرهما من المقدسات ضمن المناهج التعليمية، وأكد على أن نشر وتعليمَ تعظيم المقدسات الإيمانية والعقدية، مهمّة تربوية جليلة وواجبة، وضربَ مثلاً وأنموذجًا لذلك العلماء الربانيين الذين إذا أوردوا في حديثهم الذاتَ الإلهية أو سيّدَ الأنام محمدًا ﷺ خشعوا ووجلوا واستحضروا كل معاني الاحترام والتعظيم.

وفي المداخلة الثانية من الجلسة العلمية الأولى، وضّح الدكتور محي الدين أق كول، أن منهج القرآن الكريم واضح في ذكره للأنبياء، فهو يحترمهم أثناء ذكرهم ويبجلهم، فوجب التدقيق دومًا في تأويل الآيات المتعلقة بمقام النبوة في القرآن الكريم، فليس من اللاّئق تفسيرها بما لا يرتقي إلى المقام العلي للأنبياء والرسل عليهم السلام، وهذا يقع على عاتق العلماء والمعلمين الذين عليهم أن يرسموا الطريق الموصل للناشئة لتعظيم ما عظّم الله، ويَقدروه حق قدره.

وفي مداخلة بعنوان "احترام الآخر في الإسلام"، عرَض الدكتور علي إحسان ييتيك بشكل عام، مقارنة بين الأديان في موضوع الإنسان من حيث قيمته وجزاؤه وعقابه، ثم استخلص أن الدين الإسلامي أرقى الأديان في نظرته وتعامله مع الإنسان، فقيمة الإنسان فيه مرتبطة بمدى تقواه وارتباطه بتعاليم المولى ﷻ.

أ.د. حسن مكي / السودان.

د. محمد خروبات / المغرب.

د. حسن المناعي / تونس.

د. علي الصيفي / الأردن.

الجلسة العلمية الثانية

في الفترة المسائية للمؤتمر، انطلقت الجلسة العلمية الثانية والتي ترأسها الدكتور حسن المناعي من تونس، وشارك فيها كل من الدكاترة جنيد أرن من تركيا، ومحمد خروبات من المغرب، وسليمان الدقور من الأردن.

استهل الجلسة الدكتور جنيد أرن بمداخلة بعنوان "القرآن وتعظيمه في الإسلام"، فبيّن أن العلاقة بين الجمرة وقابضها -في اللاّفتة الرسمية للمؤتمر والتي تشير إلى حديث من أحاديث النبي ﷺ- علاقة حماية وتوفير أمن، فالجمرة في الصورة بمثابة الدين الصاف الصحيح، واليد الممسكة بها تعتبر يد المؤمن المخلص الذي يعتقد أنه عليه -وجوبًا- حماية الدين من التشوية والتلبيس والتزييف، فمهما كان هذا الدور خطيرًا ومحرقًا ومؤلمًا، فإن القيام به أمر لا مناص منه. ثم بين الدكتور "أرن" أن المفتاح الأساسي لفهم كلام رب العالمين مقترن بعملية التحول من القراءة المجردة للقرآن الكريم إلى قراءته قراءة عرض وتكليف، أي أن المسلم مكلّف بأن يعرض نفسه وأعماله على تعاليم القرآن الكريم وأوامره دومًا، وأن يكلف نفسه بتأديتها والالتزام بها في حياته.

هذا وقد تعرض الدكتور محمد خروبات من المغرب في مداخلته "مكانة الرسول ﷺ والصحابة الكرام" إلى ظاهرة الاستهزاء بالمقدسات الإسلامية، ووَصَفها أنها أصبحت ديدن المغرضين طوال التاريخ.. وبيّن كذلك أن تعظيم الشعائر واحترام المقدسات الإسلامية لا يحتاج إلى كثير من علم ومعرفة، بل إلى تربية وتنشئة على أخلاق تقدير الآخر وتقبّله واحترامه. ثم لفت المحاضر الانتباه إلى أن ظاهرة الاستهزاء والتنقيص التي تطال الشعائر والمقدسات الإسلامية، لا تقتصر على أعداء الإسلام من المشركين فحسب، بل تجاوزتهم إلى أبناء المسلمين، وهذا أمر جلل وخطير ينم عن نقص في تربية الأجيال المسلمة وتعليمها.

ومن المغرب إلى الأردن، إذ تناول الدكتور سليمان الدقور موضوع "مكانة العالِم في الإسلام"، وبدأ من حيث انتهى منه سابقه الدكتور خروبات، حيث أكد على أهمية التربية في احترام المقدسات والشعائر، وعلى أن غير المسلمين يربون أبناءهم وينشؤونهم على احتقار المقدسات الإسلامية والتشكيك فيها، فعلينا أن ننشئ أبناءنا على التمسك بشعائرهم وتعظيم مقدساتهم لئلا تجرفهم التيارات الفكرية المعادية.

ومن المداخل التربوية التي على المعلمين والمربين اعتمادها، معرفة أسباب عدم توقير وتعظيم الشعائر والمقدسات، فمن أهمها

أ.د. سعاد يلدريم / تركيا.

د. سليمان الدقور / الأردن.

د. علي بوداق / تركيا.

د. محيي الدين أق كول / تركيا.

-مثلاً- تعدد وتداخل وسائل التلقي عند الناشئة اليوم، فالمعلومة المعروضة مجانًا على الإنترنت مؤثرة، والتواصل اللاّمحدود بين جميع التيارات الفكرية والأيديولوجية عبر الإنترنت دون ضبط وتوجيه، له الأثر البالغ كذلك.

الجلسة العلمية الأخيرة

ترأس الجلسة الأخيرة الدكتور عثمان قاشقجي من تركيا، وشارك فيها كل من الدكاترة عبد الله الصيفي من الأردن، وعبد الحكيم يوجه، وعلي بوداق من تركيا.

تناول الدكتور علي الصيفي موضوع "دور أئمة المذاهب في فهم الدين"، وبيّن من خلاله أن الأنبياء لم يَمنحوا أحدًا شرف وراثتهم غيرَ العلماء الربانيين، فمن البديهي توقيرهم واحترامهم.. ثم استعرض الدكتور الصيفي عديد المواقف والقصص الواردة في التراث الإسلامي، عن مظاهر توقير أئمة المذاهب الأربعة لأساتذتهم وأئمتهم، ولبعضهم البعض أيضًا.

هذا وقد بين الدكتور عبد الحكيم يوجه في مداخلته "موقع الإرشاد الروحي في الإسلام وأهميته"، أن الأمة في حاجة ماسّة اليوم لمن يقودها معنويًا قيادة حكيمة رشيدة، فقد افتقدت للأصوات المتوازنة الجامعة غير المفرّقة التي تعمل على المتوافق في الإسلام لا على المختلف فيه، قادة روحيين يأخذون بيد البشرية الحائرة إلى برّ التسامح والتآخي والعيش المشترك.

وفي المداخلة الأخيرة انتقل الدكتور علي بوداق بالحاضرين إلى "ضوابط المناظرة وآدابها"، ووضح أن المناظرة أمر لا مناص منه، ولا شِيَةَ فيه إذا كان منضبطًا بالضوابط التي وضعها الإسلام للمناظرة والنقاش، وعلى رأسها قول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(النحل:١٢٥)، فالمناظرة البناءة تعتمد على الاحترام المتبادل وتقبل الآخر، والابتعاد عن ادّعاء الحق المطلق، والتواضع، وكل هذا من الأخلاق الإنسانية التي أقرّها الإسلام.

وبانتهاء المحاضرة الأخيرة في المؤتمر، يكون الحاضرون والمشاركون قد جمعوا وأحاطوا بموضوع تعظيم الشعائر والمقدسات من مختلف جوانبه ونواحيه، وقد أكّد على هذا، الدكتور أركون جابان رئيس تحرير مجلة يَني أميت التركية في كلمته الختامية، كما نوّه إلى الخطوات العملية والتوصيات التي خرج بها المؤتمر، وشكر كل القائمين على إنجاحه وتنظيمه على أحسن ما يرام. والله الموفق والمستعان. ■

(*) كاتب وصحفي جزائري.

فضيلة الشيخ عبد الله بن مدني / المغرب.

فضيلة الشيخ طاهر فال / السنغال.

أ.د. خليل النحوي / موريتانيا.

مولانا حميد الله لونه / الهند.

حراء

مجلة علمية فكرية ثقافية

www.hiramagazine.com

مجلة علمية فكرية ثقافية تصدر كل
شهرين عن:
Işık Yayıncılık Ticaret A.Ş
İstanbul / Türkiye
HİRA DERGİSİ
İlim Düşünce ve Kültür Dergisi

صاحب الامتياز
فكرت يشار

المشرف العام
نوزاد صواش
nsavas@hiramagazine.com

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
أجير أشيوك

المخرج الفني
مراد عرباجي

المركز الرئيس
HIRA MAGAZINE
Bulgurlu Mah. Bağcılar Cad.
No:1 Üsküdar
İstanbul / Turkey
Phone: +902163186011
Phone: +902165221144
Fax: +902164224140
hira@hiramagazine.com

مركز التوزيع
دار النيل للطباعة والنشر
٢٢ ج- جنوب الأكاديمية - التسعين الشمالي - التجمع الخامس - القاهرة الجديدة
تليفون وفاكس: 5-20226134402+
الهاتف الجوال : 201000780841+
جمهورية مصر العربية

نوع النشر
مجلة دورية دولية

Yayın Türü
2 Aylık-Arapça-Yaygın-Süreli,
İlmi, Kültürel

الطباعة

رقم الإيداع
١٣٠٦-١٨٧٩

حراء
مجلة علمية فكرية ثقافية
www.hiramagazine.com

التصور العام

- حراء مجلة علمية فكرية ثقافية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتحاور أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيماني في تآلف وتناسب بين العلم والإيمان، والعقل والقلب، والفكر والواقع.
- تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الإسلام وفهم الواقع، مع البعد عن الإفراط والتفريط.
- تؤمن بالانفتاح على الآخر، والحوار البناء والهادئ في ما يصب لصالح الإنسانية.
- تسعى إلى الموازنة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التبسيط ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة.

شروط النشر

- أن يكون النص المرسل جديدًا لم يسبق نشره.
- ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى، وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.
- يرجى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المجلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.
- تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إجازتها للنشر.
- للمجلة حق نشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون إذن من كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال على رغبته في النشر في المجلة المطبوعة. علمًا بأن ما ينشر في الموقع إلكترونيًّا لا يترتب عليه مكافأة مالية.
- المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- تحتفظ المجلة بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسبا.
- النصوص التي تنشر في المجلة تعبِّر عن آراء كُتَّابها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- للمجلة حق إعادة نشر النص منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغته الأصلية أو مترجمًا إلى أي لغة أخرى، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.

يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان الآتي:

hira@hiramagazine.com

YEMEN
مكتب حراء للنشر والتوزيع
شارع بغداد، مقابل بريد بغداد، صنعاء - اليمن
Phone: +967 1 214774
Fax: +967 1 204494
GSM: +967 736027560

ALGERIA
Bois des Cars 1 Villa N°68 Dely Brahim
GSM: +213 770 26 00 22

SUDAN
مركز دار النيل، مكتب الخرطوم
أركويت مربع 48 منزل رقم 31 - الخرطوم - السودان
Phone: 0024 999 559 92 26 - 0024 915 522 24 69
hirasudan@hotmail.com

JORDAN
شركة زوزك/شميساني شارع عبد الحميد شرف، بناية رقم:61
عمان/الأردن.
Phone: +962 656 064 44
GSM: +962 775 935 756
hirajordan@woxmail.com

UNITED ARAB EMIRATES
دار الفقيه للنشر والتوزيع
ص.ب. 6677 أبو ظبي
Phone: +971 266 789920

MAURITANIA
Phone: +2223014264

SYRIA
GSM: +963 955 411 990

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave., Clifton,
NJ, 07011, USA
Phone:+1 732 868 0210
Fax:+1 732 868 0211

SAUDI ARABIA
الوطنية للتوزيع
Phone: +966 1 4871414
المكتب الرئيسي: شارع التخصصي مع تقاطع شارع الأمير سلطان بن عبد العزيز عمارة فيصل السيار
ص.ب: 68761 الرياض: 11537
الجوال: 00966504358213
saudia@hiramagazine.com
abdallahi7@hotmail.com
Phone-Fax: +966 1 2815226

MOROCCO
الدار البيضاء ٧٠ زنقة سجلماسة
Société Arabo-Africaine de Distribution,
d'Edition et de Presse (Sapress)
70, rue de Sijilmassa, 20300 Casablanca / Morocco
Phone: +212 22 24 92 00

EGYPT
٣٧ شارع د. عبد الشافي محمد - الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة.
هاتف: +201065523089 - +201119482609
hiraegypt@gmail.com

LİBYA
دار الرواد، ذات العماد، برج ٤-طرابلس-ليبيا.
هاتف: 00218213350332 - daralrowdooks@gmail.com
هاتف: 00218916125579 - hiralibya@gmail.com

شارع الأحلام المغناطيسية

فتح الله كولن

ليست السعادة الدائمة منحة توهب بلا ثمن، وليست النعم الممتدة لقطةً على قارعة الطريق ملقاة. فالسعادة لا ينالها إلا من عبر الفيافي واجتاز شواهق الجبال. والنعمُ لا يحظى بها إلا من صمد حتى المحطة الأخيرة في الطريق الطويل الذي له مئات المحطات.

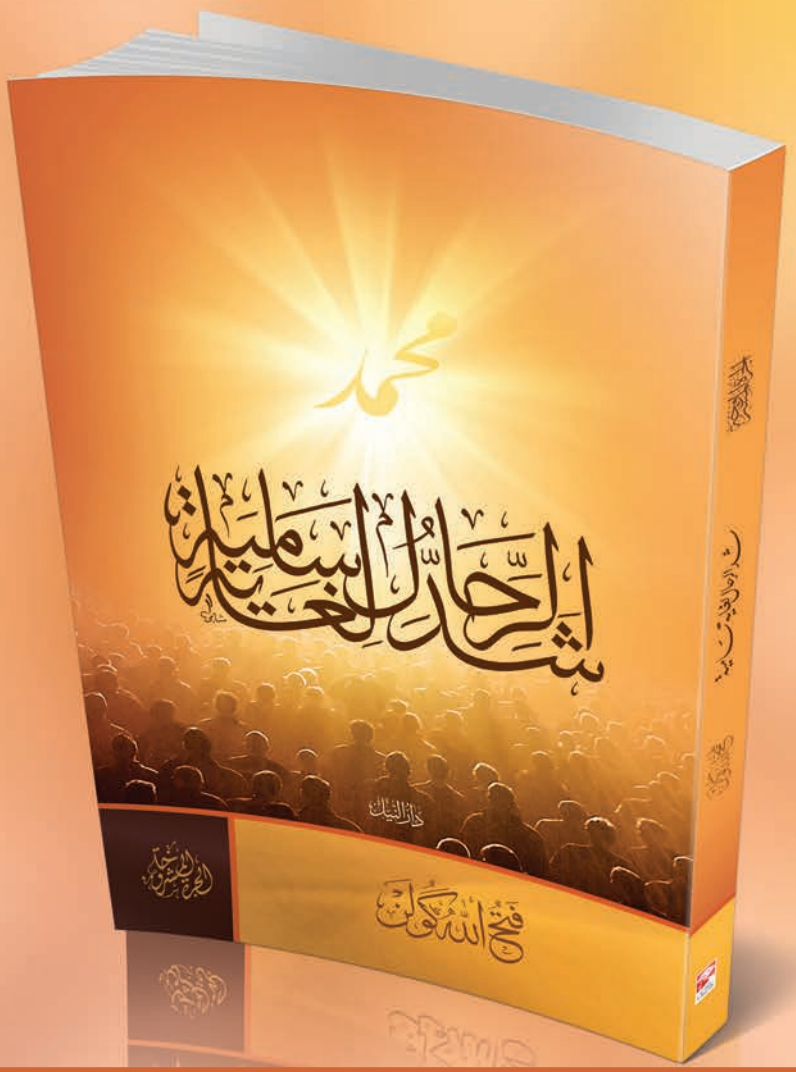

دار النيل : ٢٢ ج- جنوب الأكاديمية- التسعين الشمالي - التجمع الخامس- القاهرة الجديدة - مصر
تليفون وفاكس : 5-20226134402+ الهاتف الجوال : 201000780841+
daralnile@daralnile.com
www.daralnile.com

تركيا: ٧,٥ ليرة • أوروبا: ٣,٥ يورو • أمريكا: ٥ دولارات • المملكة العربية السعودية: ١٢ ريالا سعوديا • اليمن: ٣٧٥ ريالا يمنيا • المغرب: ٣٠ درهما • الجزائر: ٢٥٠ دينارا

حراء

مجلة علمية فكرية ثقافية

www.hiramagazine.com

الكتاب

اعتنق الكتاب، وكالفراش المُتيّم حلِّقْ واسْمُ،

اكسرْ حُبوس أصدافك، وابلغْ ذُرى الأرواح،

وصِلْ قممَ الأسرار، وادْلُفْ إلى حظيرة الأقداس،

تكنْ دومًا موضع نظر السماء.

* * *

ISSN 1306-1879

www.hiramagazine.com